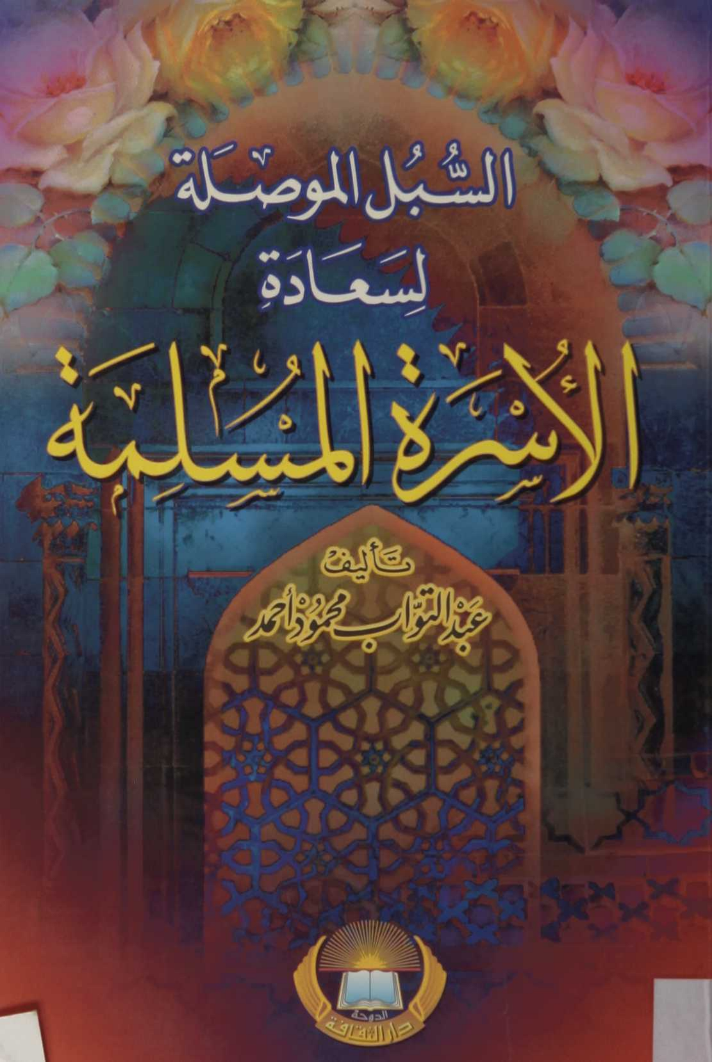

السُبُل الموصلة
لِسَعادةِ
الأُسْرةِ المُسْلِمَة
تأليف
عبد التواب محمود أحمد
الدوحة
دار الثقافة

السُبُل الموصلة لسعادة
الأسرة المسلمة

تأليف
عبد التوّاب محمود أحمد

الدوحة
دار الثقافة

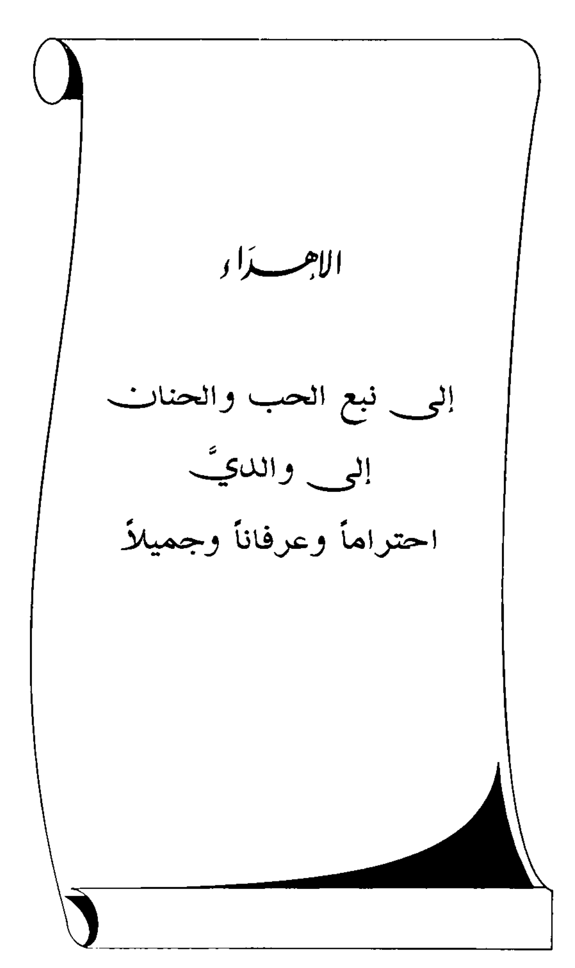
٢١٦,٥ عبد التواب محمود أحمد
السبل الموصلة لسعادة الأسرة المسلمة /
تأليف عبد التواب محمود أحمد.ـ الدوحة :
دار الثقافة، ٢٠٠٢.
٢٠٨ص؛ ١٤×٢٠سم

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٢٠٠٢/٤٧١
الرقم الدولي (ردمك): ٧ - ٣٠ - ٦٨ - ٩٩٩٢١

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤٤١٣١٨٠ — ٤٤١٣٤٧١
فاكس: ٤٤١٨١٢٠
ص.ب: ٣٠٣٢٩
الدوحة - قطر



الإهداء

إلى نبع الحب والحنان

إلى والديَّ

احتراماً وعرفاناً وجميلاً

بسم الله الرحمن الرحيم

التقريظ

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فلقد طلب مني الأخ الفاضل الأستاذ عبد التوّاب محمود أحمد، أن أطّلع على صفحات هذا السفر المبارك وهذا من حسن ظنّه ـ جزاه الله خيراً ـ وإلا فعلم الله أني لست لذلك بأهل، ولكنّه ستر الله وعفوه وفضله وإحسانه الذي نسأله ألا يحرمنا منه في الدنيا والآخرة مؤلفاً ومقدماً وقارئاً إنه جواد كريم.

فاطّلعت على هذا الكتاب رغم كثرة مشاغلي فألفيته سفراً جامعاً مانعاً، يعرض السبل الموصلة لسعادة الأسرة المسلمة بطريقة جديدة، وبأسلوب ميسّر يسهل على العامة السبيل إلى السعادة فعلاً.

وأراه موسوعة مختصرة ميسّرة جمعت ما لذّ وطاب من المعارف واللطائف والطرف والتحف والأحكام والآداب والأخبار والأشعار والمواعظ والحِكَم.

فقارئه في روضة فوّاحة ينتقل فيها بين أزهارها وثمارها، تنقل الطائر المغرّد في أفنان الجنان.

ولقد لفتُّ نظر المؤلف ـ حفظه الله ـ لبعض الأمور التي تزيد السفر بهاءً وجمالاً، وعموم فائدة، وأحسبه مدرك ذلك لا محالة، فجزاه الله خير الجزاء وأثابه على ما بذل وقدم إنه جواد كريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير العاجز

موافي محمد عزب

الموجه بمعهد الأئمة والخطباء

بإدارة الدعوة بوزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، وجعل بيننا مودة ورحمة. نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.

وبعد؛ فهذا كتاب «السبل الموصلة لسعادة الأسرة المسلمة» أضعه بين يدي الأسرة المسلمة، لعله يكون لبنة صالحة في هذا البناء الذي أولاه الإسلام ـ جلّ عنايته ورعايته ـ ولِمَ لا فالأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع وما الأمة إلا مجموعة من الأسر، فإن صلح هذا البناء وقام على أسس سليمة صلح المجتمع وسعدت الأمة.

والباعث لتأليفي هذا الكتاب ما رأيته وقرأته عن

حال بعض الأسر المسلمة التي بدأ التفكك يدب فيها شيئاً فشيئاً، وذلك بسبب بعدها عن المنهج القويم الذي رسمه لها الإسلام.

إن تحقيق السعادة أمر هيّن لمن يسّره الله له، فالسير على منهج الله واتباع سنّة نبيه يوصلان حتماً إلى السعادة والفلاح. قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران] كما أن البعد عنهما يسببان التعاسة والشقاء. قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه].

فنحن تطالعنا وسائل الإعلام كل يوم بأخبار سيئة عن الدول التي لا تسير على منهج الله. فالفاحشة تنتشر بين أفرادها، والانتحار السبيل الوحيد ليتخلصوا مما يعيشونه من فراغ روحي، بالرغم مما توافر لهم من رخاء مادي، ولكن المادة لا يوجد لها منهج روحي ينظمها ويسيّرها في الطريق المستقيم على المنهج الرباني الذي ارتضاه الله لخلقه، فهو طريق السعادة والنجاة في الدارين.

ولقد رتّبت هذا الكتاب إلى فصول:

فأفردت **الفصل الأول** للحديث عن اختيار الزوجة، وذلك لما له من أهمية كبيرة في بناء الأسرة المسلمة. **والفصل الثاني** عن اختيار الزوج المسلم، لأن ما الفائدة من أن تكون الزوجة صالحة والزوج طالحاً، فإن حدث ذلك فسوف ينهدم بنيان الأسرة. وجعلت الفصل الثاني للحديث عن الحقوق المتبادلة بين الزوجين، فإن أدى كل واحد منهما حق الطرف الثاني عليه فستسعد الأسرة حتماً.

ثم أفردت **الفصل الثالث** للحديث عن الحقوق المتبادلة بين الزوجين.

والفصل الرابع تحدثت فيه عن ذكر الله، وذلك لأن معظم بيوت المسلمين امتلأت بما يغضب الله عز وجل، وتركت ذكره جلّ شأنه فكَثُرَت المشاكل وعمّ البلاء وانتشر الطلاق.

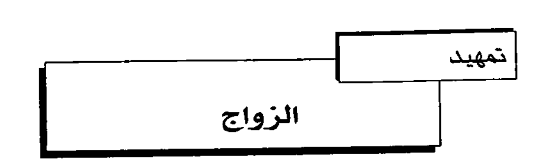
ثم ذكرت في **الفصل الخامس** نماذج للقدوة لتقتدي بها الأسرة المسلمة، لأننا في عصر نفتقد فيه للقدوة الصالحة. **والفصل السادس** عن قوامة الرجل وتبعات هذه القوامة. **والفصل السابع** عن كرم الزوج وعدم بخله على زوجته وأبنائه. **والفصل الثامن** عن قيام المرأة بواجبها نحو بيتها. **والفصل التاسع** عن المودة بين الزوجين.

والفصل العاشر عن النظافة ودورها في دوام الألفة والمحبة بين الزوجين. والفصل الحادي عشر عن الاحترام المتبادل بين الزوجين ودوره في استقرار الأسرة. **والفصل الثاني عشر** عن تحمُّل كلا الزوجين المسؤولية نحو الأهل والأبناء. **والفصل الثالث عشر** عن المشاكل الزوجية وعلاجها لتسترشد بها الأسرة المسلمة في حل مشكلاتها والتغلب عليها. **والفصل الرابع عشر** عن الاستئذان وأهمية تربية الأبناء والخدم عليه. **والفصل الخامس عشر** عن تربية الأبناء. **والفصل السادس عشر** عن المرونة في العلاقات الأسرية. **والفصل السابع عشر والأخير** قدمت فيه عدة نصائح لكلا الزوجين.

وأخيراً: أقول كما قال نبي الله شعيب : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].

الدوحة: ٢٢ جمادى الآخر ١٤٢١ هجرية

٢١ أغسطس ٢٠٠٠ ميلادية



الزوجية سنّة من سنن الله في الخلق وقاعدة مطردة لا يشذ عنها عالم الإنسان أو عالم الحيوان أو عالم النبات. قال سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات]. وقوله جلّ في عُلاه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس].

وهي الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر واستمرار الحياة، بعد أن أعد كلا الزوجين وهيّأهما، بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه الغاية. قال جلّت قُدرته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء] ولم يشأ الله أن يجعل الإنسان كغيره من العوالم، فيدع غرائزه تنطلق دون وعي، ويترك اتصال الرجل بالأنثى فوضى لا ضابط له، بل وضع النظام

الملائم لسيادته. ومن شأنه أن يحفظ كرامته، فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريماً مبنياً على رضاها، وعلى إيجاب وقبول كمظهرين لهذا الرضا، وعلى إشهاد على أن كليهما أصبح للآخر.

وبهذا وضع للغريزة سبيلها المأمونة وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة من أن تكون كلأً مباحاً لكل راع، ووضع نواة الأسرة التي تحوطها غريزة الأمومة، وترعاها عاطفة الأبوة، فتنبت نباتاً حسناً وتثمر ثمارها اليانعة.

وهذا النظام هو الذي ارتضاه الله وأبقى عليه الإسلام وهدم ما عداه.

يقول الإمام الغزالي: (إن النفس ملول، وإذا روحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت، وفي الائتناس بالنساء ما يزيل الكرب ويروح القلب، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات)[1]. قال جلّ شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فالزواج رباط مقدس يجمع بين الرجل والمرأة، له

---

(١) «إحياء علوم الدين» ٢/٤٣ ـ ٤٤.

قواعده وأصوله وأحكامه التي تحقق مصالح مشتركة للزوجين، وأهم هذه المصالح بالنسبة للزوجين هي تكوين أسرة هانئة آمنة مستقرة.

وقد قرر الإسلام الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، ما به تحسن المعاشرة وتنمو الرابطة وتطيب الحياة، ليستطيعا تربية النشء في بيئة طبيعية، توفر لهم أسباب النمو العقلي والجسدي وتحقق كمالهم الإنساني.

فالطفل لا بد له من النشأة بين أبوين، وإلا نما مبتور العواطف شاذ السلوك، وحاجته إلى أمه وأبيه حاجة أصيلة لا يغنيه عنها شيء آخر، وعلى الأبوين يقع عبء كبير من جانب التربية الخلقية الوجدانية والدينية في مراحل الطفولة، لذا حضّت الشريعة الإسلامية على الزواج ووردت نصوص كثيرة ترغب في الزواج.

عن عبد الله بن مسعود قال: خرجنا مع النبي ﷺ ونحن شباب لا نقدر على شيء فقال: «يا معشر الشباب عليكم بالباءة، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فإن الصوم له وِجاء» [قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح]. ومن صور الترغيب في الزواج أنه من سنن الأنبياء وهدي المرسلين، وأنهم القادة الذي يجب علينا أن نقتدي بهداهم. قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطُّر والسواك والنكاح» [رواه الترمذي] بل إن الله ذكره في معرض الامتنان على خلقه. قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢].

والزواج آية من آيات الله. قال جلّت قدرته: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

ولقد تعهّد الله ﷻ بمساعدة من يريد الزواج إذا خاف من الاضطلاع بتكاليفه هرباً من احتمال أعبائه. قال تباركت أسماؤه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

والإسلام ينظر إلى العلاقة بين الزوجين باعتبارها النواة الأولى التي تنبثق عنها سائر العلاقات البشرية في المجتمع الإنساني، ويرى أنها الأصل الأهم بين أصول الحياة الاجتماعية التي لا يمكن للمجتمع أن يقوم قياماً سليماً إلا بها، فهي الخلية الحيوية الرئيسية التي إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن فسدت فسد المجتمع كله.

ونظراً لأهمية العلاقة الزوجية وأثرها العميق في البناء الكلي للأمة، فإن الإسلام قد أولاها رعاية خاصة وفريدة، حيث وضع لها من المناهج التنظيمية ما يضمن لها قسطاً وفيراً من السعادة والهناءة.

الفصل الأول

أسس اختيار الزوجة

لقد جعل الإسلام لاختيار الزوجة قواعد محكمة ومبادئ سليمة، وطلب من المسلمين مراعاتها من أجل إنشاء الأسرة المسلمة الحقة، ولو أن المسلمين الآن طبّقوا هذه الأحكام وراعوا هذه المبادئ والقواعد إذن لعاشوا في هدوء واطمئنان وسعادة وعزة ومنعة وقوة.

والأساس الأول الذي يهمنا في حديثنا عن سعادة الأسرة المسلمة، هو حسن اختيار الزوجة الصالحة وهو من أهم أسس السعادة الزوجية وأعظمها أهمية وخطورة، فالسعيد من فاز بزوجة صالحة تعينه على أمور دينه، وتكون سبباً في دخوله الجنة.

فالإسلام دين المروءة العالية والخلق الرفيع، يوجب أن يكون الزواج مؤسساً على تطلُّب الصفات الكريمة والمعاني الجميلة والخُلُق الطيب.

إن المرأة إنسان وأجمل ما في الإنسان إنسانيته

وحقيقته المشرقة وصفاته المحبّبة، أجمل ما في الإنسان أن يكون ذا إنسانية عالية رفيعة، فإذا ما أوتيت المرأة حظّها من ذلك أوتيت حظها من الجمال.

فإذا صرف الرجل نظره وراح ينشد الجمال الظاهر أو المال أو نحوه، فهو سقوط في الهمة وفساد في النظر إلى حقائق الحياة.

وإنما تستقيم لنا الحياة وتسعد إن نحن أجريناها على حقائقها السليمة، ولم نحملها على غير ما سنّ الله ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة. قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

فلقد تزوّج ﷺ خديجة رضي الله عنها وهي في الأربعين، وهو في الخامسة والعشرين، ولكنه كان زواجاً ناجحاً موفقاً سعيداً، لأنه كان زواج عقل راجح إلى عقل راجح، وزواج خلق كريم إلى خلق كريم، كان كلاً من الزوجين يعيش في حقيقة نفسه ونور فطرته، فأحبّ في الآخر رجاحة العقل وسموّ الخلق وكريم الخصال.

فالمرأة ذات الخلق الكريم وذات الدين القويم، هي أحق ما تكون للزواج، وهذا معنى قوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر

بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري ومسلم وأبو داود].
وكان ﷺ يعتبر الزوجة الصالحة من نِعَم الله الكبرى على المرء. عن ثوبان قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا: فأيُّ المال نتّخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك، فأوضع على بعيره فأدرك النبي ﷺ وأنا في أثره فقال: يا رسول الله! أيُّ المال نتّخذ؟ فقال: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة» [رواه أحمد].

ثم يصف لنا الرسول ﷺ بعض صفات الزوجة الصالحة في حديثه الذي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» [رواه ابن ماجه].

بل لقد جعل رسول الله ﷺ من السعادة المرأة الصالحة، ومن الشقاوة المرأة السيئة.

روى ابن حبان في «صحيحه» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار

السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق» بل لقد جعلها ﷺ خير متاع الدنيا.

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة» [رواه مسلم والنسائي وابن ماجه].

والمؤمن إذا رزق بزوجة صالحة فقد أعانه الله على نصف دينه. قال ﷺ: «من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان، فليتق الله في النصف الباقي»[1].

وقد يتساءل القارئ ويقول: لماذا يحرص الإسلام على المرأة الصالحة ذات الدين ويوصي بالزواج بها دون النظر للمال أو الجمال أو الحسب والنسب؟

وللإجابة عن هذا نقول: إن رسول الله ﷺ حدّد الدوافع في اختيار المرأة فقال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري].

فالدوافع عند اختيار المرأة تكون كثيرة ومتعددة ومختلفة من رجل لآخر، فأوضح ﷺ أن الدوافع لاختيار

---

(١) انظر: «صحيح الجامع» (٦١٤٨)، و«السلسلة الصحيحة» (٦٢٥).

المرأة ربما يكون المال الذي تملكه المرأة، فيكون وجود المال لدى المرأة دافعاً لاختيارها زوجة، وهذا الدافع المادي لا يمكن أن يبني أسرة سعيدة. ويوجد حياة زوجية سليمة، لأن من كان دافعه المال فسيستمر في حسن معاملته والتمسك بحياته الزوجية ما دام المال موجوداً لدى الزوجة، ويمكن أن يهدم الحياة الزوجية غالباً إذا ذهب المال أو إذا اغترّت المرأة بذلك المال، وأظهرت الاستكبار على زوجها وعاملته معاملة الأجير، فيكون المال سبباً في انهيار بنيان هذا الزواج وانهدامه. وفي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بسند فيه ضعف، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنكح المرأة لجمالها، فلعل جمالها يرديها، ولا لمالها فلعلّ مالها يطغيها، وأنكح المرأة لدينها». أما الدافع الثاني الذي يرغِّبُ الرجل ويدفعه إلى الزواج فهو الحسب، والحسب (هو الصفات الجميلة والأفعال الكريمة التي تكون للمرأة وآبائها). ومن العلماء من فسّر الحسب: المال أيضاً مستدلين بالحديث الذي أخرجه الترمذي عن سمرة بن جندب مرفوعاً: «الحسب: المال والكرم: التقوى».

وهذا الأمر لا يعوّل عليه في بناء الأسرة، لأن هذا الحسب أو الجاه يمكن أن يزول لسبب أو لآخر، وإذا

زال الحسب الذي تزوج من أجله الرجل المرأة، سوف يفكر في طلاقها للبحث عن أخرى.

أما الدافع الثالث وهو الجمال، فليس بأمر دائم ومستمر، وهو زائل أيضاً لأن المرأة لا يبقى لها جمالها خاصة إذا تقدمت في العمر، فالجمال سيذهب وربما كان ذهاب الجمال سبباً لضياع الحياة الزوجية القائمة، عندما ينظر الزوج إلى غير زوجته بعد أن زال جمالها رجاء أن ينكح غيرها.

وربما كان الجمال أيضاً سبباً في اغترار المرأة بذاتها، فيدفعها ذلك إلى التكبُّر والغرور على الزوج، وربما أدّى تصرفها هذا إلى مضايقة الزوج حتى يطلّقها، والواقع يؤيد ذلك ويؤكّده.

أما ذات الدين فهي التي تدوم السعادة معها، فكما قلنا: المال يذهب والحسب يذهب والجمال يذهب ولا يبقى إلا الدين وبذلك تبقى السعادة ترفرف على البيت.

روى النسائي عن أبي هريرة أنه قال: قيل: يا رسول الله! أيُّ النساء خيرٌ؟ قال: «التي تسرُّه إن نظر إليها، وتطيعه إن أمرها ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره».

فهذه صفات المرأة ذات الدين التي عرفت ما

أمرها الله، فالتزمت به ومنعت نفسها عن الهوى فخافت الله تعالى في زوجها وأولادها، وخشيت ربها في نفسها ومالها ومال زوجها، وأدت لكل ذي حق حقه.

فاتخاذ الصاحبة من أهل الدين فيه الخير والبركة والسعادة، لأن في مصاحبتها في دنياه استفادة من أخلاقها وبركتها، فكأن الخير أصبح كله عنده وفي بيته، ومن كان عنده الخير والبركة فلا يتعس ولا يخسر.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في «الإحياء»: (وليس أمره ﷺ بمراعاة ذات الدين نهياً عن مراعاة الجمال ولا أمراً بالإضراب عنه، وإنما هو نهي عن مراعاته مجرداً عن الدين، فإن الجمال في غالب الأمر يرغِّب الجاهل في النكاح دون الالتفات إلى الدين ولا النظر إليه، فوقع النهي عن هذا الأمر، وأمر بألا يغفل النظر فيه، وأمر النبي ﷺ من يريد التزويج بالنظر إلى المخطوبة يدل على مراعاة الجمال، إذ النظر لا يفيد مراعاة الدين وإنما يعرف به الجمال والقبح)[١]. مما سبق يتضح لنا أن الإسلام قد جعل التدين المعيار الأول في اختيار الزوجة والصفة الأساسية في الاختيار، لأنه

---

(١) «إحياء علوم الدين» ٢/٥٦.

بذلك يشجّع الناس على التديُّن، ولأن الدين الإسلامي قد جاء بجميع المبادئ الإنسانية الفاضلة والقِيَم الخلقية الاجتماعية السليمة، ولا يمكن أن تستمر الحياة الزوجية وسعادتها، وأن يكون البيت بيتاً إسلامياً حقاً، بدون أن تتصف المرأة بتلك الصفات، وتتحلى بتلك القِيَم الأخلاقية النبيلة.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري].

ولا ينبغي أن يفهم من هذا الحديث أن الإسلام لا يعترف طبيعة الإحساس الإنساني وميله نحو الجمال والجاه والمال، فهذه من الأمور المرغوبة بالطبيعة أيضاً، لأن المرأة إذا لم تكن جميلة تقلّ رغبة الزوج فيها، ويتجه بصره إلى غيرها. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: سئل النبي ﷺ أيُّ النساء خير؟ قال: «التي تسرُّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها ولا في ماله» [رواه أحمد].

وكذا المال له أهمية في اقتصاد البيت، والإنسان يحب أن يكون أولاده أغنياء، كما يحب أن تساعده زوجته في نفقة البيت، وقد يقصد الإنسان الحسب

والنسب ليرفع من مكانة البيت، كما أن الإحساس بالشرف وبالحسب يدفع إلى التزام الشرف والترفُّع عن الدنايا.

وإنما كل ما أراده الإسلام أن تكون صفة التديُّن الصفة الأساسية، وأن تكون الصفات الأخرى هي الصفات الثانوية، ولا مانع من الجمع بين الصفات الأربع بل هذا أفضل.

وهناك صفات أخرى يجب أن تتوفر في المرأة هي:

أن تكون ولوداً غير عقيم:

إن من أهداف الزواج في الإسلام: الإنجاب ودوام التناسل. ولتحقيق ذلك شجّع الإسلام على اختيار زوجة ولود. عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فنهاه، فقال: «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم» [رواه النسائي].

وليس معنى ذلك أن الزواج بالعقيم لا يجوز شرعاً، وإنما ذلك غير مرغوب لأن كل إنسان يرغب في أن يكون له ولد إن عاجلاً أو آجلاً، وربما يطلبه بعد

فوات الفرصة فيندم على فعلته ويقدم على زواج آخر، ولأن الإنجاب ـ كما قلنا ـ من أهداف الزواج في الإسلام.

ولكن قد يُعْترض ويُقال: كيف تعرف المرأة أنها عقيم؟ نقول: إنه يمكن معرفة ذلك عن طريق الأسرة، بأن تكون من أسرة معروفة بالولادة، وكذلك إذا كانت متزوجة من قبل وكانت أيضاً بريئة من بعض الأمراض التي تؤدي إلى العقم أو إلى الإجهاض.

أن تكون الفتاة من أسرة غير أسرته أو من جنس غير جنسه:

من المعروف عند العرب أنهم كانوا يقولون: (اغتربوا لا تضووا) أي لا تهزلوا ولتصبحوا أقوياء، وجاء الرسول ﷺ فأكّد هذا المبدأ فقال: «تخيّروا لنطفكم وانكحوا الأكفّاء وأنكحوا إليهم» [رواه ابن ماجه]. ولقد قرر كثير من علماء تحسين النسل أن ضعف الذرية وانحطاطها يرجع في كثير من الأحيان إلى عامل الوراثة، فكلما كانت الزوجة ذات قرابة أوثق، كلما ظهر أثر الوراثة أكثر. والسبب في ذلك أن جميع الصفات والاستعدادات السيئة في الأصول القريبة تنتقل إلى الذرية والأعقاب، ولهذا قال ﷺ: «الناس معادن في الخير

والشر، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» [رواه البيهقي][1]. وفي رواية لمسلم: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

ولكي نعرف كيف تتم الوراثة، نوضح أن في كل خلية من خلايا الجسم عدد ثابت من أجسام صغيرة تسمى كروموسومات تحمل بدورها أجزاء دقيقة، وبترتيب خاص تسمى العوامل الوراثية. هذه العوامل الوراثية هي المسؤولة عن الصفات التي تظهر في الإنسان وفي الأجيال القادمة. ويتكوّن الجنين عادة في بطن أمه نتيجة اندماج الحيوان المنوي الآتي من الأب مع البويضة الموجودة في الأم، وفي خلايا الحيوان المنوي والبويضة نجد عدداً من الكروموسومات يعادل نصف العدد الثابت في النوع، فإذا ما تم تزاوج الأب والأم وإخصاب البويضة بالحيوان المنوي الآتي من الأب يتكون الجنين وبه عدد كروموسومات، النوع الثابتة نصفها جاء من الأم ونصفها جاء من الأب، وعلى هذه الكروموسومات عوامل وراثية تنتج الصفات الوراثية سواء كانت جسمانية أو عقلية.

---

(١) «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» ٢/ ٤١٤.

أن تكون بكراً:

عن جابر بن عبد الله قال: تزوجت امرأة فقال لي رسول الله ﷺ: «هل تزوجت؟» قلت: نعم، قال: «أبكراً أم ثيباً؟» قلت: ثيباً، قال: «فأين أنت من العذارى ولعابها» [رواه البخاري].

وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالأبكار، فإنهن أعذب أفواهاً وأنقى أرحاماً وأرضى باليسير» [رواه النسائي]. وشعور الإنسان بطهارة رحم زوجته ونقاوته، وأنه لم يمسه آخر من قبله له قيمة. هذا إلا أن الإسلام يريد من تشجيع زواج البكر، تشجيع الفتيات على الطهارة والعفاف وحفظ الأعراض، ثم إن زواج البكر ينقذ الإنسان من الشكوك في وجود الأمراض السرية واختلاط الأنساب وعفاف الفتاة، وهذا له دور كبير في الاستقرار النفسي والاطمئنان القلبي.

ألّا تكون شديدة الغيرة:

وذلك لأن كثرة الغيرة تؤدي إلى كثرة الاستجواب، وكثرة الحساب لكل تصرف يلفت النظر وتدخل في القلوب الشكوك، وذلك يعكر صفو الحياة ويزيل منها السعادة. فلو تعطّر الزوج وهو خارج من المنزل قالت له زوجته شديدة الغيرة: لماذا تتعطّر؟ لا بد وأن هناك شيئاً

ما، لو تحدث في سماعة الهاتف تقول له: مع من تتحدث؟ لماذا تتكلم بصوت خافت؟ هل تتحدث مع رجل أم امرأة؟ وهكذا إذا تأخر خارج البيت تقول له: أين كنت؟ لماذا تأخرت؟ ثم تبدأ بعد ذلك تتسلل الشكوك إلى نفسها وينقلب البيت رأساً على عقب. ولهذا لما سألوا الرسول ﷺ قائلين: ألا تتزوج من نساء الأنصار؟ فقال: «إن فيهم لغيرة شديدة» [رواه النسائي وصححه الألباني].

لكن لا ينبغي أن يفهم من ذلك أن الإسلام يحارب الغيرة، لأن الغيرة ضرورية للمحافظة على الشرف، وإنما غير المرغوب منها هي الغيرة الشديدة والمفرطة.

قال الشاعر:

إذا الغيرة استوطنت منزلاً
وكانت أوامرها نافذة
ستجلو السعادة في حينها
من الباب أو فتحة النافذة

أن تكون عاقلة:

قديماً قيل: العقل زينة والمرأة العاقلة هي التي ينبغي للإنسان أن يرتبط بها، لأن الحمقاء كما قيل

ـ معاشرتها بلاء وولدها ضائع ـ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه مالك في «الموطأ» عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: (أيُّما رجل تزوج امرأة وبها جنون أو جذام أو برص فمسها، فلها صداقها كاملاً وذلك لزوجها غرم على وليها) ثم إن ضعف العقل يورث فمن أراد أن يكون ولده عاقلاً فلا يتزوج الحمقاء.

أن تكون مسلمة:

أهمس في أذن من يقدم على الزواج من المسلمين وأقول له: إن أردت أن تبني بيتاً تشع فيه الفرحة ويغمره الود والسرور، فعليك ألا تسقط شرط الدين في الزواج، فكثيراً ما نجد بعض الشباب المسلم مفتوناً بالحضارة الغربية حضارة التفسخ والتحلل من جميع الأخلاق والقِيَم، فإذا سافر إلى إحدى هذه البلاد تزوج من كافرة ثم بعد ذلك يتجرع كأس الذل والهوان. والواقع أصدق دليل على ذلك: فمن آن لآخر تطالعنا الصحف والمجلات ببعض هذه النماذج التي سقطت في هذه الهوّة السحيقة، فانقلبت حياتها من سعادة وهناءة إلى تعاسة وشقاء، وقد يؤدي الحال بكثير من هؤلاء إلى الانتحار فيموت كافراً: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج].

والسبب في ذلك أنه ابتعد عن المنهج الإسلامي القويم في اختيار الزوجة المؤمنة الصالحة.

وقد يتساءل القارئ ويقول: لماذا نهى الإسلام عن زواج المشركات؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إن الله سبحانه قد حرم زواج المسلم بمشركة وذلك في قوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة].

ونورد هنا رأي صاحب «الظلال» في هذا الزواج يقول: (النكاح ـ وهو الزواج ـ أعمق وأقوى وأدوم رابطة تتصل بين اثنين من بني البشر، وتشمل أوسع الاستجابات التي يتبادلها فردان، فلا بد إذن من توحّد القلوب والتقائها في عقدة لا تحل، ولكي تتوحد القلوب يجب أن يتوحد ما تنعقد عليه ويؤثر فيها، ويكيّف مشاعرها، ويحدّد تأثراتها واستجاباتها، ويعين طريقها في الحياة كلها، وإن كان الكثيرون يخدعهم أحياناً كمون العقيدة أو ركودها، فيتوهمون أنها شعور عارض يمكن الاستغناء عنه ببعض الفلسفات الفكرية أو المذاهب الاجتماعية، وهذا وهم وقلة خبرة بحقيقة النفس الإنسانية

ومقوّماتها الحقيقية، وتجاهل لواقع هذه النفس وطبيعتها.

ولقد كانت النشأة الأولى للجماعة المسلمة في مكة لا تسمح ـ في أول الأمر ـ بالانفصال الاجتماعي الكامل الحاسم، كالانفصال الشعوري الاعتقادي الذي تمّ في نفوس المسلمين، لأن الأوضاع الاجتماعية تحتاج إلى زمن وإلى تنظيمات متريثة، فلمّا أراد الله للجماعة المسلمة أن تستقل في المدينة وتتغيّر شخصيتها الاجتماعية كما تميّزت شخصيتها الاعتقادية، بدأ التنظيم الجديد يأخذ طريقه ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ نزلت تحرم: أي نكاح جديد بين المسلمين والمشركين، فأما ما كان قائماً بالفعل من الزيجات فقد ظل حتى السنة السادسة للهجرة حين نزلت في الحديبية آية سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

فانتهت آخر الارتباطات بين هؤلاء وهؤلاء، لقد بات حراماً أن يربط الزواج بين قلبين لا يجتمعان على عقيدة، إنه في هذه الحال رباط زائف واهٍ، إنهما لا يلتقيان في الله، ولا تقوم على منهجه عقدة الحياة، والله

الذي كرّم الإنسان ورفعه على الحيوان يريد لهذه الصلة ألّا تكون ميلاً حيوانياً، ولا اندفاعاً شهوانياً، إنما يريد أن يرفعها حتى يصلها بالله في علاه ويربط بينها وبين مشيئته ومنهجه في الحياة؛ طهارة الحياة، ومن هنا جاء النص الحاسم الجازم: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾.

فإذا آمن فقد زالت العقبة الفاصلة وقد التقى القلبان في الله فسلمت تلك الآصرة وقويت بتلك العقدة الجديدة عقدة العقيدة: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾. فهذا الإعجاب المستمد من الغريزة وحدها، لا تشترك فيه مشاعر الإنسانية العليا، ولا يرتفع عن حكم الجوارح والحواس، وجمال القلب أعمق وأغلى حتى ولو كانت المسلمة أمة غير حرة، فإن نسبها الإسلام يرفعها عن المشركة ذات الحسب، إنه في الله وهو أغلى الأسباب. ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾. القضية نفسها تتكرر في الصورة الأخرى توكيداً لها وتدقيقاً في بيانها، والعلة الأولى هي العلة الثانية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

إن طريق المشركين والمشركات إلى النار ودعوتهم إلى النار وطريق المؤمنين والمؤمنات هو طريق الله، والله

يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه، فما أبعد دعوتهم إذن من دعوة الله.

ولكن أوَيدعو أولئك المشركون والمشركات إلى النار؟ ومن الذي يدعو نفسه أو غيره إلى النار؟ ولكن الحقيقة الأخيرة إلى النار، يختصر السياق إليها الطريق، ويبرزها من أولها دعوة إلى النار بما أن مآلها إلى النار، والله يحذر من هذه الدعوة المردية (المهلكة) ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ . . . وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. فمن لم يتذكر واستجاب لتلك الدعوة ـ أي فتزوج المسلم من مشركة تدعوه إلى النار، أو تزوجت المسلمة مشركاً يدعوها إلى النار ـ فهو الملوم»[1].

روي عن ثوبان قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل، قالوا: فأي المال نتّخذ؟ قال عمر ﷺ: فأنا أعلم لكم ذلك؟ فأوضع (أسرع) على بعيره فأدرك النبي ﷺ وأنا على أثره، فقال: يا رسول الله! أي المال نتّخذ؟ قال: «ليتّخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة» [رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

---

(١) «في ظلال القرآن الكريم» ١/ ٣٥.

الفصل الثاني

أسس اختيار الزوج

لقد تحدّثنا فيما سبق عن الأسس التي وضعها الإسلام لاختيار الزوجة، وفي هذا الفصل سوف نتناول أهم الأسس التي وضعها الإسلام لاختيار الزوج، فما فائدة أن تكون الزوجة صالحة وزوجها سيئ الخلق، فلن تكون الأسرة حينئذ سعيدة بل شقيّة وتعيسة.

إن أهم الأسس التي يجب أن تتوافر في الزوج المسلم أن يكون ذا خلق ودين. روى الترمذي في «سننه» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا آتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». إن المقياس الأول الذي يجب أن يحكم والذي ينبغي أن تكون له كلمة الفصل في هذا الموضوع، هو الدين، أجل إن الدين قبل العلم وقبل المال وقبل الجاه... وقبل الجمال وقبل الحسب والنسب.

سأل رجل الحسن البصري عمّن يزوّج ابنته؟ فقال: عليك بصاحب الدين، فإنه إذا أحبّها أكرمها وإن أبغضها

لم يظلمها. عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ «فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة، فقال: ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» [قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ومعنى قوله: عوان عندكم يعني: أسرى في أيديكم]. وقالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: (النكاح رقّ فلينظر أحدكم أين يضع كريمته). إن المتدين لا يمكن أن يظلم زوجته التي جعلها الله تحت سلطته، وأخذت منه ميثاقاً غليظاً وهي التي من نفسه. قال جلّت قدرته: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء]. وقال جلّت حكمته: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

وعلى ولي أمر الفتاة أن يتقي الله فيها، فإنها أمانة عنده فليعطها إلى من يحسن الحفاظ عليها، فلا يزوجها من ساء خلقه أو ضعف دينه، أو كان ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو كان شارب خمر، لأن ولي أمر الفتاة إنْ زوجها لواحد من هؤلاء فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لسوء اختياره. وللأسف الشديد نرى بعض أولياء الأمور ينبهر بغنى الزوج أو شهادته العلمية أو مكانته الاجتماعية، فيزوّج ابنته له فيحدث لها من الويلات ما لا يعلم مداه إلا الله، فتلعن الفتاة أباها الذي لم يحسن الاختيار، وكان سبباً في تجرعها كأس الذل والحرمان وشقائها وتعاستها، والواقع يشهد بذلك.

الإكراه في الزواج:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن كان مصراً على الفسوق لا ينبغي أن يزوج). على أننا نؤكد على نقطة مهمة، وهي أنه لا يصح إكراه المرأة على الزواج ممن لا تحب، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ ردّ نكاح من أكرهت وجعل الأمر لها[1]. ففي «مسند أحمد» عن

(١) «نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الكتاب والسنة»، للدكتور عبد الرحمن الصابوني.

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن أبي زوّجني ابن أخيه يرفع بي خسيسته، فجعل الأمر إليها قالت: فإني أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء.

عن خنساء بنت خذام الأنصارية (أن أباها زوّجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت النبي ﷺ فرد نكاحها) [رواه البخاري]. عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «الأيم أحق بنفسها من وليّها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها» [رواه مسلم] على أننا نرى مع هذا ضرورة استئذان الولي جمعاً بين الأدلة، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «أيّما امرأة لم ينكحها الولي، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل» [رواه ابن ماجه].

هذا فضلاً عمّا نشاهده اليوم من استقلال بعض الفتيات بتزويج أنفسهن، وما ينتج عن هذا من نتائج سيئة على الولي والأسرة والمجتمع بالندم والخسران المبين، ووجوب الأخذ بالأحوط حفاظاً على كرامة المرأة أن تمتهن ويستغل الذئاب ضعفها.

الفصل الثالث

الحقوق المتبادلة للزوجين

وبعد أن ذكرنا في الفصل السابق أسس اختيار الزوجة، وأن الزوج إذا ظفر بذات الدين أصبح بيته بيتاً سعيداً. نتناول في هذا الفصل إن شاء الله الحقوق المتبادلة للزوج والزوجة.

اعلم أيها القارئ العزيز أن لكل من الزوجين حقاً على الآخر، فلا تنتظم الحياة الزوجية ولا تستقيم إلا إذا علم كل واحد منهما ما حق الآخر عنده؟ فالتزم أداءه وعمل على الوفاء به، فبذلك تستقيم الحياة الزوجية وتكون الحياة هانئة سعيدة لا ينقصها أي شيء ما دام كل واحد من الزوجين يعرف حق الآخر عنده، وسوف نتناول هذه الحقوق بشيء من التفصيل ونبدأ بـ:

أولاً: حقوق الزوج على زوجته:

الطاعة:

فأول هذه الحقوق: الطاعة. فعلى الزوجة أن تطيع

زوجها في كل ما يأمرها به ما لم يكن معصية لله تعالى، فلا تطيعه فيه لقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف» [رواه البخاري].

فطاعة الزوج تحبب المرأة إليه وترفع منزلتها عنده، وتجلب لهما جميعاً سعادة وطمأنينة ويكون من آثارها أن يقتدي الأولاد بأمهم، فينشئوا متمرنين على طاعة الأبوين قابلي توجيهاتهما، بل إن الزوج نفسه يطيع امرأته ويحقق لها رغباتها المشروعة، إذا رآها تطيعه. وهذه أولى الفوائد التي تتعجلها المرأة، فما ظنكم بحسن ثواب الله وكريم غفرانه وقد قيل في «منثور الحكم»: خير الزوجات المطيعة، الحيية، الفطنة، الولود، القصيرة اللسان، المطاوعة العنان. عن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا طاعة في المعصية إنما الطاعة في المعروف» [رواه البخاري].

ومن الطاعة أن لا تنازعه الأمر ولو كانت تعتقد أن الصواب في جانبها ما لم يكن في الأمر محذور شرعي، فالمشادة في الرأي ينشأ عنها منازعات ومشاكل واضطراب في الحياة العائلية، قد تفضي إلى حل عقد النكاح، وفي ذلك جناية على نفسها وزوجها وأولادها، وفيه ما فيه من الكراهية الشرعية، فإن الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى.

ونسوق فيما يلي الأحاديث النبوية الشريفة التي ورد فيها تعظيم حق الزوج على الزوجة فهي أحاديث كثيرة، منها:

١ ـ أخرج الإمام أحمد في «مسنده» عن ابن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: «ما هذا يا معاذ؟» قال: أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعلوا، فلو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتْب لم تمنعه».

٢ ـ وأخرج الترمذي عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيُّما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة».

٣ ـ وكان ﷺ يقول: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» [رواه أحمد].

٤ ـ عن حصين بن محصن أن عمة له أتت النبي ﷺ في حاجة ففرغت من حاجتها فقال لها: «أذات زوج أنت؟» قالت: نعم. قال: «فأين أنت منه؟» قال

يعلى: فكيف أنت له؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: «انظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك» [رواه أحمد].

٥ ـ عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنّ عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهم».

٦ ـ عن أبي هريرة قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ النساء خيرٌ؟ قال: «التي تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره» [رواه النسائي].

الاحتجاب عن الأجانب:

الثاني على المرأة أن تحتجب عن الأجانب فلا تظهر زينتها لهم، وينبغي ألا يروها على هذه الحالة، فإنه لا يرى المرأة غير زوجها ومحارمها، وهم الذين يحرم

عليهم نكاحها على التأبيد، كأبيها وأخيها وابن أخيها وابن أختها وعمها وخالها وأبي زوجها وابنه. قال سبحانه في سورة النور: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وكما لا تمكّن الأجانب من رؤيتها فكذلك لا تراهم، لأن النظر بريد الزنا وطريقه وفاتحته، فلنتحفّظ منه رجالاً ونساءً. قال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾.

قال الحكيم:

كل الحوادث مبدؤها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها

في أعين الغيد موقوف على الخطر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها

فعل السهام بلا قوس ولا وتر

يسرّ ناظره ما ضر خاطره

لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وفي الحديث: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة» [رواه الحاكم]. فلا ينبغي للمرأة أن تتطلع إلى الناس من شقوق الأبواب ولا من النوافذ والشبابيك، ولتتحرز جهدها من أن يسمع صوتها أجنبي منها إلا لضرورة، وعليها عدم تليين صوتها وترخيمه لئلا يعمل الشيطان عمله. قال سبحانه لنساء النبي ﷺ وهن القدوة لنسائنا: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب].

وعليها إذا جاء صديق لزوجها وكانت وحدها في البيت، أن لا تأذن له بالدخول ولا تسأله عن اسمه، ولا تتصرف إليه، ولا تتودد لئلا تقع الفتنة، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» [رواه مسلم وأبو داود واللفظ له].

روى البزار والدارقطني من حديث علي ﷺ وكرّم الله وجهه، أن رسول الله ﷺ قال لابنته فاطمة ﷺ: «أيُّ شيء خير للمرأة؟» قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل. فضمها ﷺ وقال: «ذرية بعضها من بعض» واستحسن كلامها.

خدمة البيت:

على المرأة أن تبذل قصارى جهدها في خدمة بيتها، فتنشط إلى العمل كي تبقى لها صحتها وتحفظ قوتها، فإن العمل ينفي عن صاحبه الأمراض والأدواء، فعليها أن تنظف بيتها وتعد الطعام لزوجها وأبنائها وتقوم بكل تدابير البيت، فإنها ربّته وصاحبته. قال ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها». والمرأة الذكية التي تريد أن يكون بيتها سعيداً عليها، أن لا تتكاسل عن أداء واجبها نحو خدمة بيتها وزوجها، فالكسل في هذه الحالة يؤدي إلى مشاكل كثيرة هي في غنى عنها، ولكل زوجة مؤمنة نسوق لها قصة السيدة أسماء بنت الصديق ﷺ، لعلّها تكون نبراساً لها في أداء واجبها نحو بيتها وزوجها.

روى البخاري في «صحيحه» أن السيدة أسماء بنت

أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجت الزبير ما له في الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه (أي بعيره) الذي يستقي عليه فكنت أعلف فرسه ـ زاد مسلم ـ وأسوسه وأدق النوى لناضحه واستقي الماء وأخرز غربه (تخيط الدلو إذا انفتق) وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلث فرسخ ـ وهي نحو من مشي ساعة ـ حتى أرسل إليَّ أبو بكر بخادم يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني.

فهذه أسماء ذات النطاقين بنت الصديق الأكبر، جدّها أبو قحافة صحابي، وأبوها أبو بكر صحابي، وهي صحابية، وأختها أم المؤمنين عائشة صحابية، وأمها صحابية، وزوجها المبشر بالجنة ابنة عمة رسول الله ﷺ وحواريه الذي يعد بألف فارس، وطالما فرّج بسيفه الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، وأم الزبير صفية بنت عبد المطلب صحابية، وابن أسماء رضي الله عنهما عبد الله بن الزبير صحابي، وعروة بن الزبير ابنها من فقهاء المدينة السبعة، فأسماء نور من نور من نور وتحيط بها هالات النور، ولم تأنف مع هذا كله من خدمة نفسها وزوجها، فما أحرى نساءنا بالاقتداء بها والسير على نهجها رضي الله تعالى عنها.

عدم خروجها من بيت زوجها إلا بإذنه:

فيجب على المرأة أن لا تخرج من بيت زوجها إلا إذا أذن لها صراحة، فتخرج حينئذ محتشمة متطلّبة البعد عن الأعين، متحرّية جهد استطاعتها أن تسير في الشوارع التي لا ازدحام فيها دون الأسواق والشوارع الكبيرة والساحات العامة، وبقدر ما تكون فيه من دين وشرف يكون عملها على هذا. أما تبرُّجها وتزيُّنها وتعطُّرها وسيرها في الأسواق تزاحم الرجال، وتستهوي عيونهم وتفتن قلوبهم، فهو دليل على ضعف الوازع الديني في نفسها أو انعدامه، وأمارة على نوم الشرف أو موته.

وقد رتّب الله تعالى على خروج المرأة بلا إذن زوجها إثماً كبيراً تدل عليه لعنات الملائكة المنهالة عليها، فقد جاءت الأخبار النبوية الشريفة بأن الملائكة تلعنها حتى ترجع أو تتوب.

أخرج البيهقي وأبو داود والطيالسي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال من حديث شريف: «وأن لا تخرج من بيته إلا بإذن، فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع»، قيل: وإن كان ظالماً؟ قال: «وإن كان ظالماً».

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وأخرج الحاكم عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «أيُّما امرأة استعطرت فخرجت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية».

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أقرب ما تكون المرأة إلى الله تعالى وهي في قعر بيتها».

حفظ مال زوجها:

فعلى المرأة أن تحرص على حفظ مال زوجها وصيانته أيّاً كان نوعه، فالزوجة الذكية هي التي تحرص على مال زوجها، لأن مال زوجها يعود عليها بالخير والمنفعة، فكثيراً ما كانت إضاعة المرأة مال زوجها موجبة للنفرة وباعثة على الشقاق. أما حفظه فمقو للرابطة زائد للألفة. فلا تعطي أحداً ولو فقيراً شيئاً إلا إذا علمت رضا زوجها أو صرح لها بالإعطاء، وإلا فإنه مأجور وإنها مأزورة.

أخرج البيهقي وأبو داود عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال في حديث شريف: «ولا تعطي شيئاً من

بيته إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر» [رواه أبو داود].

أن لا تصوم نفلاً إلا بإذنه:

فعلى المرأة أن لا تصوم نفلاً إلا بإذن زوجها، فإن صامت دون استئذانه وكان حاضراً غير مسافر كان حظها من صومها جوعها وعطشها، وزيادة على ذلك تأثم ولا يتقبل الله منها ولزوجها الحق في أن يفطرها إن لم تستأذنه، وإذا أفطرها زوجها فإنها تقضي ذلك اليوم، لأن الشرع في النفل ملزم إتمامه[1] وتستأذنه في القضاء. أما صوم الفريضة كرمضان فلا يحتاج إلى إذن الزوج.

أخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أن لا تمنعه نفسها وإن كانت على قتب، وأن لا تصوم يوماً واحداً إلا بإذنه، فإن فعلت أثمت ولم يتقبّل منها».

حفظ نفسها في حال غيبة زوجها:

ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ قال: كبر ذلك على المسلمين فقال عمر رضي الله عنه: أنا أفرج عنكم. فانطلق فقال: يا

(١) هذا مذهب الإمام مالك، «المدونة الكبرى» ١/ ٢٧٤.

نبي الله! إنه كبر على أصحابك هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم»، فكبّر عمر ثم قال له: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» [رواه أبو داود].

فعلى المرأة أن تحفظ نفسها في حال غيبته في صلاح وانقباض عن الناس، فإذا رجع انبسطت إليه. أما إذا فعلت عكس هذا فلا خير فيها، ولكن للأسف الشديد نجد بعض النسوة في عصرنا يفعلن خلاف ذلك، فإذا كان زوجها معها تراها منقبضة الأسارير كأنما مات أبواها، فإذا خرج انبسطت أساريرها وكأن زوجها كابوس يجثم على صدرها، وهذا ما لا يرضاه الله ورسوله.

فالمرأة المؤمنة الصالحة التي تعرف حق زوجها وتؤدي له حقوقه، وتريد أن يكون بيتها سعيداً حينما يعود زوجها إلى البيت، تبتسم في وجهه وتكون فرحة بمقدمه، متحريّة لرضاه، متزيّنة، متنظّفة، حتى لا تقع عينه منها على ما يكره، وتحضر له طعامه وتخدمه بقلبها وقالبها.

أوصت امرأة ابنتها عند زواجها فقالت: أي بنية لا تغفلي عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضيء وجهك وتحبّب

فيك زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوّي جسمك على العمل.

لا تحمل زوجها ما لا يطيق:

فمن حق الزوج على زوجته أن لا تحمّله ما لا يطيق من النفقة على بيته، فلا تطلب منه ما يزيد على الحاجة، فكثير من النسوة في عصرنا هذا تثقل كاهل زوجها بمصروف البيت، فتجدها كثيرة الطلبات، إذا كان لديها أربع أثواب تريد الخامس، وتقول لزوجها: إن زوجة فلان قد اشترى لها زوجها ملابس بكذا، واشترى لها ذهباً بكذا، وأنا لست أقل منها، فيضطر المسكين أن يستدين لأجل تلك الزوجة الجشعة التي همّها الوحيد أن يقال: إن فلانة عندها وعندها ولا تتقي الله في زوجه ولتعلم من تفعل ذلك، أن القناعة تعمر البيوت، وتوقع الألفة والمحبة، وأن الجشع والطمع يضعفان المحبة، ويأتيان بالكراهية، فما أحسن المرأة القانعة ذات الخلق الكريم، الحسنة التصرف في قليل الرزق ليكفيها وزوجها وأولادها.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» [رواه البخاري].

وعلى المرأة أن ترغب عن الكسب الحرام لما فيه من الهرك والدمار. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك» [رواه مسلم].

ويقول الحكيم:

جمع الحرام على الحلال ليكثره

دخل الحرام على الحلال فبعثره

وقد كان نساء السلف تقول الواحدة منهن لزوجها: يا عبد الله! اتق الله فينا، وإياك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضر، ولا نصبر على النار.

وكذلك لا يصح للزوجة امتعاضها من تحول زوجها من اليسر إلى عسر، فإن ذلك قبح منها بل عليها

أن ترضى بالقضاء، وأن تكون لزوجها في شدته كما كانت له في رخائه وأشد، فكثير من النساء الفضليات هذا حالهن يصبرن، حيث أن انتظار الفرج من أفضل أنواع العبادة يأخذن بأيدي أزواجهن ويصبرن على الشدة حتى تنفرج الأزمة وتنقشع الغمة، فالله جل شأنه يقول في محكم التنزيل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [الشرح].

ويقول الحكيم:

يا صاحب الهم إن الهم منفرج
أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه
لا تيأسن فإن الكافي الله
إذا بليت فثق بالله وارض به
إن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة
لا تجزعن فإن الصانع الله
والله مالك غير الله من أحد
فحسبك الله في كل لك الله

ولتعلم أن النعيم الدنيوي قد يجر أصحابه إلى العناء الأخروي. روى ابن أبي الدنيا عن النبي ﷺ أنه

قال وقد أصابه جوع يوماً، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه الشريف: «ألا رُبّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة، ألا رُبّ مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا رُبّ مهين لنفسه وهو لها مكرم».

وأسوتها في ذلك أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول: (والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: يا خالة! فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء؛ إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا» [رواه البخاري]. فما بال نسائنا إذا اجتمع أمام الواحدة منهن ثلاثة أصناف من الطعام، استاءت وأرادت الرابع، مع أن رسول الله ﷺ لم يجتمع أمامه صنفان من الطعام قط، ليس لأنه لا يجد، بل كانت الدنيا بيده، ولكن زهداً منه ﷺ الذي كان يقول: «ما أنا والدنيا؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» [رواه ابن ماجه].

وقد لا تكتفي بذلك، بل أنها إذا ظل عندها طعام لا تحتفظ به إلى اليوم التالي، بل تضعه في القمامة،

فكل هذا وغيره يحمل زوجها فوق ما لا يطيق، وهذا يأباه العقل السليم وهو من الإسراف الذي نهى الله عنه ورسوله. قال جلّ شأنه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلْ واشرب والبس وتصدّق من غير سرف ولا مخيلة» [متفق عليه].

القيام بالواجبات الدينية:

فمن الواجب على المرأة أن تستفرغ جهدها في القيام بالواجبات الدينية من صلاة وصوم، وجميع ما أوجب الله تعالى عليها، فيجب أن تكون شديدة الخوف من الله تعالى، باذلة جهدها في مرضاته، حريصة على تفهُّم أحكام الإسلام، ذاكرة قول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر النساء: تصدّقن وأكثرن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار لكثرة اللعن وكفر العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن». قالت: يا رسول الله! وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل والدين فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي لا تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين». ما أحسن المرأة إذا كانت

تقدم دينها على دنياها وتؤثر ربها على نفسها إذا كانت كذلك فهي مفلحة. أخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها».

وأخرج ابن حبان عن الحسن أنه قال: حدّثني من سمع النبي ﷺ يقول: «أول ما تسأل المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها».

فإن المرأة إن فعلت ذلك أصبح بيتها بيتاً سعيداً، لأن طاعة الله عز وجل وتقواه فيها السعادة كلها. قال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران].

تقديم حق الزوج على حقها:

فمن الواجب على المرأة أن تكون بارّة بزوجها، تقدم حقّه على حقها وحق قرابتها، وإن من أجمل أنواع البر به إحسانها إلى أمه، اعترافاً بجميلها وشكراً لها، فهي أم زوجها، ولكن للأسف الشديد نجد كثيراً من النساء يفعلن الآن عكس ذلك، فالزوجة تتخذ أم الزوج عدواً لدوداً لها، وتناصبها العداء، لا لشيء سوى أنها

حماتها، وهذا والله بئس العمل. فإذا نشب الخلاف بين الأم والزوجة، فإما الصبر على حياة مريرة وحرب دائمة، وإما المصير إلى أحد أمرين أحلاهما مرّ: حل عقدة النكاح، أو عقوق الأم، ألا فليتق الله النساء والرجال والأزواج والأمهات وليعيشوا متوادّين متراحمين.

ومن البرّ بالزوج شكره على إنفاقه عليها، فإن هذا يشرح صدره ويثلج فؤاده ويحبّب المرأة إليه، ومنه أيضاً إحسانها تربية أولاده في صبر وتحمّل، فتربيتهم على الفضيلة وتربيهم على الزهد والتقشف والتجمُّل تثقّفهم وتعلّمهم الإيمان والطهارة والصلاة والأخلاق الفاضلة، تحبّب إليهم الخير وتبغّض إليهم الشر، وتكون لهم ظلاً من الرحمة ظليلاً، ولكن النساء أغلبهن الآن يتركن أولادهن دون تربية ولا نصيحة، فكثير منهن يجعلن جلّ وقتهم لمشاهدة التلفاز والانتقال بين الفيلم والمسلسل. وهكذا يضيع الأولاد، فربما تضربهم والدتهم على عدم المذاكرة، ولا تضربرهم على ترك الصلاة. نشكو من بيوتنا ونقول: نحن نعيش في جحيم لا يُطاق، أولادنا عاقون ماذا نفعل؟ لمن نلجأ؟ ونقول لهؤلاء: اتقوا الله في أولادكم، ربّوهم على الفضيلة، لا تتركوهم للخادمات، فالخادمة لا تربي ولا تزرع الفضيلة، لا

تتركوهم نهباً للتلفاز، لأن ما يبث فيه من الرذيلة أضعاف ما يبث فيه من الفضيلة، وإلا سوف تصرخون وتقولون: ضاع أولادنا وفقدنا السيطرة عليهم، وتقول لهؤلاء: ماذا تنتظرون من ابن أو بنت نشأت في هذا الجوء المليء بما يغضب الله ورسوله.

فالمرأة عليها أن تتقي الله عزّ وجل وتربي أولادها تربية إسلامية، تعلم أبناءها منذ نعومة أظافرهم الوضوء والصلاة، تعوّد ابنتها على ارتداء الحجاب، بذلك ترفرف السعادة على بيوتنا.

يقول الحكيم:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا
على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن
يعوده التدين أقربوه

فعلى المرأة أن تسمع أبناءها الكلام الطيب، وتدعو لهم ولا تدعو عليهم. فقد جاء في الحديث الشريف النهي عن الدعاء على النفس والولد والمال. روى أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله

ساعة نيل فيها عطاء فيستجاب لكم» [رواه أبو داود].

ثانياً: حقوق الزوجة على زوجها:

المهر:

فمن حقوق الزوجة على زوجها أن يوفيها مهرها كاملاً غير منقوص. قال سبحانه: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء]. وأخرج الطبراني في «الأوسط» أن النبي ﷺ قال: «أيما رجل تزج امرأة على ما قلّ أو كثر ليس في نفسه أن يؤدّى إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان». وأخرج البيهقي عنه ﷺ أنه قال: «من أعظم الذنوب عند الله عزّ وجل رجل تزوّج امرأة، فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها» على أننا نؤكد هنا على نقطة مهمة ألا وهي المغالاة في المهور. فكثير من الآباء إذا أراد تزويج ابنته رفع مهرها ظناً منه إنه إذا فعل ذلك يشار إليه بالبنان، وكأنما ابنته سلعة تباع وتُشترى، على أن المغالاة في المهور شيء يأباه الإسلام، لأن الإسلام دين يُسر وليس دين عسر، فالزوج حينما يدخل بزوجته وهو مثقل بالديون فلن يكون زواجه سعيداً، بل سيكون زواجاً تعيساً، ألا فليتق الله الآباء في بناتهم، وفي الشباب الذين يريدون الزواج، فيسّروا ولا تعسّروا.

ونسوق هنا أحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم في تيسير الزواج وعدم المغالاة في المهور حتى لا يكون ذلك حائلاً دون إتمام زواج تتوافر فيه الكفاءة والثقة والطاقة على تسيير دفة الأسرة من بعد.

أخرج الترمذي في كتاب النكاح عن عمر بن الخطاب ﷺ قوله: (ألا لا تغالوا صدقة النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها النبي ﷺ، ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه، ولا أنكح شيئاً من بناته، على أكثر من ثنتي عشرة أوقية) [قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح].

وجاء في «مسند أحمد»: (وقد جهّز النبي ﷺ ابنته فاطمة في خميم ووسادة آدم حشوها ليف) [صححه الحاكم وأقرّه الذهبي]. وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً» [السنن الكبرى للبيهقي].

وقد روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي: أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت: إني وهبت نفسي لك، فقامت طويلاً، فقال رجل: يا رسول الله! زوّجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال: «هل عندك من شيء تصدّقها به» فقال: ما عندي إلا إزاري هذا. فقال رسول الله ﷺ: «إزارك إن أعطيتها جلست وليس إزار

لك، فالتمس شيئاً» فقال: ما أجد. قال: «التمس ولو خاتماً من حديد» قال: فالتمس فلم يجد شيئاً فقال رسول الله ﷺ: «هل معك من القرآن شيء؟» قال: نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها، فقال رسول الله ﷺ: «زوجتكها بما معك من القرآن».

وقد روى النسائي عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد، ولكنك رجل كافر وأنا مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها. قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم (الإسلام) فدخل بها فولدت له.

ونسوق هنا قصة زواج بنت سيد التابعين سعيد بن المسيب رضي الله عنه، ففيها العظة والعبرة لمن أراد تزويج ابنته بمهر قليل حتى لا يثقل كاهل الزوج. فسعيد بن المسيب رجل فاضل، وعالم جليل، ونقي تقي، وزاهد عابد. هذا الرجل هو أحد فقهاء المدينة السبعة وهو فقيه الفقهاء وسيد التابعين على الإطلاق، هذا الرجل يضع النقاط على الحروف في تقليل الصداق وترك المغالاة.

سجل التاريخ بأن سعيد بن المسيب مرّ عليه من السنين أربعون سنة ولم يؤذن المؤذن إلا وهو في

المسجد، وقد زوّج ابنته المثالية التي قلّ أن يوجد مثلها زوجها على درهمين، وبعد أيام قليلة من الزواج أعطى زوجها عشرين ألف درهم. وقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان قد خطبها لابنه الوليد، فأبى سعيد أن يزوجّه بها.

قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هلا تزوجت امرأة غيرها؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة، فقال: إن أنا فعلت تفعل، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوّجني على درهمين، قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ، وصليت المغرب وكنت صائماً فقدمت عشائي وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يقرع فقلت: من هذا؟ قال سعيد: ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فقلت: يا أبا محمد هلا أرسلت إليّ فآتيك، قال: لا أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمرني؟ قال: رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، ثم دفعها في الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح فناديت الجيران فجاؤوني وقالوا: ما شأنك؟

فقلت: زوّجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة وها هي ذي في الدار، فنزلوا إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع فإذا هي أجمل النساء وأحفظهن لكتاب الله تعالى وأعلمهن بسنّة رسول الله ﷺ، وأعرفهنّ بحق الزوج قال: فمكثت شهراً لا يأتيني ابن المسيب ولا آتيه ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته فسلمت عليه، فرد علي ولم يكلمني حتى انفضّ من في المسجد، فلما لم يبق غيري قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو. فرحم الله سعيد بن المسيب، فإنه لم يزوّج ابنته من أجل المال والرياء والسمعة، وإنما زوّجها من أجل الدين والستر والخلق، نعم مات سعيد بن المسيب وماتت ابنته ومات زوجها وبقيت الذكرى حية عطرة يفوح أريجها ويتألق نجمها في سماء الدنيا، فهل نجد في آباء اليوم كسعيد بن المسيب يخفف عن الشباب ما يعانونه عند الزواج؟!! وهل نجد في شباب اليوم مثل أبي وداعة في علمه وخلقه وتقواه. قال جلّت قدرته: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق] وعلى كل حال في تاريخنا الحديث قصص كثيرة تشبه قصة ابن المسيب وأبي وداعة، ولكن تحتاج

إلى من يجمعها من أفواه الرجال فضلاً عن بطون الكتب.

النفقة:

قال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] وحين أوجب الإسلام النفقة على الرجل لم يكلفه فوق طاقته، ولم يحدد فيها كماً معيناً، بل جعلها أمراً نسبياً يراعى فيه حال كل امرئ وطاقته الخاصة. قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق]. فليس من المروءة أن ينفق الرجل على نفسه بسعة، وعلى زوجته وبنيه في بخل وتقتير، فإن فعل ذلك ما كانت هناك سعادة بينه وبين شريكة حياته، فكثيراً ما نجد بعض الأزواج يذهب إلى أفخر المطاعم ويأكل ما لذّ وطاب، وإذا طلبت زوجته بعض المال فلا يعطيها ما يكفيها وأولادها بالمعروف، وهذا الزوج وأمثاله قد فعل ما فيه ضرر ببيته وقد تتحول حياته مع أسرته للخطر، فقد تضطر الزوجة في نهاية المطاف إلى طلب الطلاق نتيجة لبخله وتقتيره.

فالله سبحانه قد أمر الزوج بالإنفاق على زوجته بالمعروف، وقد أمره سبحانه بالإحسان في هذا وأن

يوصل إلى المرأة حقها من نفقة ومأكل وملبس عن رضى من الزوج وطيب نفس، فهي شريكته في حياته ورفيقته في عمره، وهي أم أولاده وهي قرينته التي تفرح لفرحه وتحزن لحزنه وتودّه وترحمه.

فأي تقصير يبدو من الزوج في أداء هذا الحق، ففيه مؤاخذة. وقد روي عن وهب عن جابر قال: إن مولى لعبد الله بن عمرو قال له: إني أريد أن أقيم هذا الشهر ههنا ببيت المقدس، فقال له: تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: فارجع إلى أهلك فاترك لهم ما يقوتهم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» [مسند أحمد].

وعن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: ما حق المرأة على الزوج قال: «أن يطعمها إذا طعم وأن يكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت» [رواه أبو داود].

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» عنه ﷺ أنه قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيّع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته».

وروى الترمذي وابن ماجه أنه ﷺ قال في حجة الوداع: «ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنما هنّ عوان

عندكم (أي أسيرات) لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، فاستوصوا بهن خيراً، وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن».

ومن الإحسان إليها أن يطعمها مما يأكل ولا يخص نفسه بطعام شهي دونها، ويصنع لها الحلوى أو يشتري لها حلوى ويطعمها إياها، فإن ذلك يدخل السرور إلى قلبها.

ومن الإحسان أن يأكل أهل البيت كباراً وصغاراً على مائدة واحدة. قال سفيان الثوري رحمه الله: (بلغني أن الله وملائكته يصلون على أهل البيت يأكلون في جماعة).

ويحسن بالزوج أن يأمر زوجته بالتصدق بما يمكن أن يفضل عنهم مما يحبون. قال تباركت أسماؤه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران].

ولا ينتظر حتى يكاد يفسد ثم يتصدق به. قال جلّ شأنه: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة]. ولا مانع من إنفاق الفضل قبل أن تعافه النفس أو تمل منه، فهذا خير من إلقائه في القمامة لأن في ذلك ازدراء

بالنعمة، ويحسن بالزوج أن يحتسب نفقته على أهله وأولاده ناوياً القيام بأمر الله تعالى، وإعفافهم وصيانتهم عن التطلع إلى الناس.

أخرج البخاري في «صحيحه» عنه ﷺ أنه قال: «إذا أنفق الرجل على أهل نفقة يحتسبها فهي له صدقة».

وأخرج مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ أنه قال: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

أن تكون النفقة حلالاً:

فمن حق الزوجة على زوجها أن تكون النفقة حلالاً، وهذا أهم ما يجب التحري فيه أن يطعم نفسه وأهله وأولاده حلالاً، فلا يجوز أن يهدم دينه ويهلك نفسه بالإنفاق عليهم من المال الخبيث والكسب الحرام، فإنه شؤم وعار في الدنيا ودمار وعذاب في الآخرة وعقاب. قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم] ووقاية النفس والأهل النار تكون بتحري الحلال والبعد من الحرام.

عن زيد بن أرقم قال: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ـ أي قد كاتبه على مال ـ وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله: من أين أتيت به؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه. قال: فجاءه ذات ليلة بطعام، وكان أبو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله، ثم قال له: من أين جئت بهذا؟ فقال: كنت تكهّنت لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة، إلا أني خدعتهم. فقال أبو بكر: أفٍّ لك كدت تهلكني! ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج. فقيل له: إنها لا تخرج إلا بالماء، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه. فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال ﷺ: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» [رواه البيهقي في «شعب الإيمان»]. فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة. وفي «الصحيحين»: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». وفيه: «الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته».

تعليمها:

فمن حق الزوجة على زوجها أن يسعى في تعليمها لدينها لتعرف واجباتها وتأخذ بأسباب النجاة، ولتحسن

القيام على بيتها بالإصلاح وعلى أولادها بالتربية الحسنة، فيعلمها سورتي النساء والنور، ففيهما الكثير مما يتعلق بأمور النساء وآداب المنزل، فهذا حق واجب على الزوج. وقد قرر أهل العلم بالشرع أن الرجل إذا كان قائماً على أهله بالتعليم الصحيح، امتنع على المرأة الخروج من البيت لسؤال العلماء، وكذلك إذا كان ملمّاً بالإجابات الصحيحة للأسئلة الشرعية، أما إذا لم يكن هذا ولا ذاك، فلها بل عليها أن تخرج للاستفتاء والسؤال، ويأثم الرجل بمنعها، ومهما حصل من إهمال منها أثمت هي وشاركها هو في الإثم، لأن تعلم أمور الدين من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق من أوجب الواجبات، فيجب على كل زوج مسلم أن تكون عنده مكتبة دينية، لا أقول مليئة بأمهات الكتب، ولكن بالكتب المهمّة في العبادات والعقائد والأخلاق والسِيَر، فنجد للأسف الشديد الكثير من الأزواج يحرصون كل الحرص على اقتناء أجهزة التلفاز والفيديو، وإذا كان ولا بد هوائي ضخم، ولا يحرص على اقتناء كتاب في الفقه أو العبادات حتى يؤدي عبادته أداءً صحيحاً ويعلم زوجته وأبناءه أهم أمور دينهم، فالله سبحان سوف يسأله يوم القيامة عنهم. قال ﷺ: «والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته» لن يسأل يوم القيامة عن المسلسلات

والأفلام لماذا لم يحط بها علماً؟!! بل سيسأل كيف انشغل بهذه المسلسلات عن أهله وأولاده، فماذا يقول لربه؟ ذلك المضيّع لزوجه وأولاده الذين سوف يتعلقون برقبته يوم القيامة ويشكون لربه، ألا فليتق الله هذا الزوج وأمثاله فيما استرعاه الله.

فقد أخرج ابن حبان في «صحيحه» عنه ﷺ أنه قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته».

فمن أوجب الواجبات وآكد الفروض فرض تلقينها اعتقاد أهل الحق وتنقية قلبها وعملها من البدع وتعليمها الوضوء والغسل والطهارة والصلاة وأحكام الحيض والنفاس والاستحاضة. إن العبادة بلا علم كالكتابة على الماء.

قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله» [رواه البخاري].

قال علي رضي الله عنه وكرّم الله وجهه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم] أدّبوهم وعلّموهم. وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصيته، وتقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية نهرتهم وزجرتهم.

إن ما يدمي القلوب ويحزن النفوس أن ترى رجلاً يؤنّب ابنه ويضربه على أنه قصّر في استذكار دروسه، ولا يؤنّبه ولا يضربه على ترك الصلاة من أجل ذلك. أصبحت بيوتنا جحيماً لا يُطاق، وذلك لأننا تركنا هدي ربنا وسنة نبينا فأصبحنا نتخبط لا ندري من أين نسير وكيف ننجو. النور أمامنا ولا نراه الطريق واضح المعالم ولا نسلكه. أصبحنا نقلّد الكفرة الفجرة ولا نتمثل بحياة الصحابة والتابعين عليهم رضوان الله أجمعين. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان] ولات ساعة مندم. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

فيا رجال الإسلام! علّموا أهليكم الأخلاق، وتاريخ الإسلام، وسيرة الرسول ﷺ، وتراجم أزواجه

الطاهرات أمهات المؤمنين عليهن رضوان الله تعالى. إن هذا يزكي أنفسهن ويجعلهن فاضلات، قانتات، عابدات، متعلّقات بأهداب الفضيلة، ومكارم الأخلاق، وهناءة السعادة الزوجية، والهناءة البيتية والعيش الطيّب، والراحة التي تنسيك.

أيها الزوج المسلم! ما يصيبك خارج البيت من همّ وكدر، إنك تنقلب إلى هناءة وسرور، وتذكّر قول الله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

حفظ أسرار الزوجية:

إن مما لها عليه ألا يتحدث إلى الناس بما يجري بينه وبين زوجته حال قضاء الوطر، فإنه مما لا ينبغي ولا يليق وليس من المروءة في شيء، فإن حفظ الأسرار واجب، ولا سيما مثل هذا السر الذي يتعلق بحرم المرء وعرضه، فإن التساهل في صيانة هذا السر برهان على ضعفه العقلي، وخبث الضمير ورذالة الخلق، وتعمّد الأذى للمرأة والحطّ من كرامتها وكرامة أهلها، وأقل ما فيه أنه نكث بعهد الزوجية وهو أمتن العهود وأغلظ المواثيق. قال سبحانه: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

إنه خيانة يترتّب عليها أن يحل الشقاق محل الوفاق، والنفرة مكان الألفة، والوحشة موضع الأنس، ولما له من عظيم الضرر. جاء الشرع الشريف بتجريمه وذم من يفعله.

أخرج مسلم وأبو داود وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه».

وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عنده فقال: «لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأرم القوم ـ أي سكتوا ـ فقلت: أي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن»، قال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة، فغشيها والناس ينظرون».

وفي رواية أخرى: قال رسول الله ﷺ: «هلا أغلق أحدكم بابه ورخى ستره ولم يحدث أحداً بما فعل في بيته، فإنما مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه في وسط الطريق فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه».

وكان عبد الله بن عمر يقول: (لا تقوم الساعة حتى

يتسافد الناس في الطريق تسافد الحمير، فيأتيهم إبليس فيصرفهم إلى عبادة الأوثان).

أن يغار عليها:

فمما لها عليه أن يغار عليها غيرة تقي عرضه أن يتدنس وشرفه أن ينثلم، وإن الغيرة أخص صفات الرجل الشهم الكريم، وإن تمكّنها منه ليدل على رسوخه في مقام الرجولة الحقّة الشريفة، ومن هنا كان كرام الرجال وأفذاذ الشجعان يمتدحون بالغيرة على نسائهم والمحافظة عليهن، وإن من شر صفات السوء ضعف الغيرة وموت النخوة، ولا يركن إلى ذلك إلا الأرذلون.

فالإسلام حمى كرامة المرأة، فحظّر عليها الاختلاط بالرجال والخلوة بالأجنبية وإن كان تقياً وشريفاً، حتى ولو كان قريباً منها كابن عمها وابن خالها أو قريباً من زوجها وهو المدعو بالحمو كعمه وابن عمه وابن خالته حتى أخيه. سئل سيدنا رسول الله ﷺ عن دخول الحمو على المرأة فقال: «الحمو: الموت» أي أنه معادل للموت، وذلك لما يسبب من مشاكل ومصائب تؤدي في نهاية الأمر إلى خراب البيوت وحدوث ما لا يُحمد عقباه. وهذا ما تطالعنا به الصحف والمجلات كل يوم.

لقد حمى الإسلام كرامة المرأة، فمنعها الخروج من بيتها لغير ضرورة، وحظر عليها أن تخطو في الأسواق متعطّرة متزيّنة، كل ذلك لحمايتها من العبث بها وامتداد الأبصار إليها، لتبقى كرامتها محفوظة، وعرضها مصوناً، وشرفها مخفوراً. ولا فرق في هذا المنع بين عالمة وجاهلة وغنية وفقيرة، إنه حكم عام يتناولهن جميعاً وإن تساهل الأزواج في هذا، يخرم مروءتهم ويلوث شرفهم ويقدح في شهامتهم. قال أمير المؤمنين علي ﷺ وكرّم الله وجهه: (ألا تستحيون ألا تغارون يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال).

ويجب أن ننبّه هنا على نقطة مهمة، وهي أن الغيرة حقيقة تكون عند ظهور علامات الفساد، وهو كل ما خالف نهي رسول الله ﷺ، وهنا أمرها محمود. أما الغيرة دون ظهور علامات الفساد فهي مذمومة لأنها تجعل الزوج أو الزوجة مظنّة الاتهام دائماً، وهذا أمر ينغص الحياة الزوجية ويبعد السعادة والأمان عن الوجهين، ويجعلهما في شقاء وتعاسة، وغالباً ما يؤدي ذلك إلى الفساد والخراب. ولقد أوضح الرسول الكريم ﷺ في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره، فأما ما يحب الله فالغيرة في

الريبة، وأما ما يكره فالغيرة في غير ريبة».

وهذه الغيرة تكون من سوء الظن وهو أمر منهي عنه شرعاً. أما الغيرة التي لها أسبابها ومبرراتها فلا شيء فيها وهي محمودة شرعاً.

أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «دخلت الجنة ـ أو أوتيت الجنة ـ فأبصرت قصراً فقلت: لِمَن هذا؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله بأبي أنت وأمي يا نبي الله أوَ عليك أغار.

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله».

قال الإمام الغزالي في «الإحياء»: الاعتدال في الغيرة هو أن لا تتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنّت وتجسس البواطن. فقد نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء. وفي لفظ آخر: أن لا تبغت النساء. ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره قال قبل دخول المدينة: «لا تطرقوا النساء ليلاً».

وكان الحسن رضي الله عنه يقول: (أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق، قبّح الله من لا يغار). ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله، ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة، والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة، والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل» [رواه أبو داود والنسائي وابن حبان].

وقال الشاعر في الغيرة المذمومة والتي تكون في غير محلها:

إذا الغيرة استوطنت منزلاً
وكانت أوامرها نافذة
ستجلو السعادة في حينها
من الباب أو فتحة النافذة

مخالقتها بخلق حسن:

مما لها عليه من الحقوق: أن يخالقها بخلق حسن ويعاشرها بالمعروف، فإن فعل فقد ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة، وإن الرجل ليبلغ بحسن خلقه منازل في الجنة لا يبلغها بعمل آخر. ولذلك قال ﷺ في

الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً».

وقال عليه الصلاة والسلام: «أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله وحسن الخلق» [رواه مسلم]. فحسن الخلق جامع للمكرمات كلها، ومن حسن خلقه مع أهله عاش في بحبوحة من السعادة وغمره الهناء والسرور.

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» [رواه ابن ماجه]. وآخر ما أوصى عليه الصلاة والسلام ثلاث كلمات ظل يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه، جعل يقول كما رواه النسائي وابن ماجه: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون: الله الله في النساء فإنهن عوان - أي أسيرات - في أيديكم أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

وفي رواية الشيخين قال ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء». ومن العجب العجاب أن ترى الرجل خارج منزله يضحك ويكون مسروراً، فإن دخل بيته على

زوجه وأولاده اكفهر وجهه وجمدت الابتسامة على شفتيه، فنقول لهذا وأمثاله من أشباه الرجال من أولى ببسط الوجه؟ أهل بيتك أم أصحابك؟ ألا فليتق الله هؤلاء في أهليهم. فحريٌّ بالمسلم أن يكون ودوداً لطيفاً مع أهله مثلما كان رسول الله ﷺ وأصحابه الغر الميامين.

احتمال أذاها:

فالزوج المسلم عليه أن يتحمل أذى زوجته ويتغافل عن كثير مما يبدر منها رحمة بها وشفقة عليها، وقد أمر الله تعالى بمعاشرة النساء بالمعروف. قال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. احتمال الأذى من المرأة عند طيشها وغضبها من الخلق الكريم، وقد كان عليه الصلاة والسلام أعظم الناس احتمالاً، حلماً، وكرماً منه صلوات الله وسلامه عليه.

ولقد بيّن رسول الله ﷺ أن أحسن الناس خلقاً أحسنهم خلقاً مع نسائهم فقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم».

يقول الحكيم:

إذا كنت في كل الأمور معاتب

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

إن الإسلام أمر بإعطاء حق الزوجة كما أمر بإعطاء حق نفسه وحق الله في العبادة. فقد قال رسول الله لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عبد الله! ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل»، قلت: نعم، قال: «فلا تفعل، صم وافطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً» [رواه البخاري].

بالإضافة إلى هذا، فقد نهى الرسول ﷺ عن شتم المرأة وعن ضرب وجهها وعن هجرها أمام الناس ولو استحقت الضرب والهجران، فقال عندما سُئل ما حق الزوجة على الزوج؟ قال: «تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» [رواه أحمد وأبو داود].

هذا وقد توجد عند الزوجة صفة من الصفات لا

تعجب الزوج، فلا ينبغي في هذه الحالة أن ينظر إليها من هذه الصفة فقط، فتبدو في نظره كل صفاتها سيئة، فقد توجد مقابلها صفة أخرى حسنة، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ في قوله: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» [رواه مسلم]. ثم إنه يجب أن يعرف أن المرأة لا تكون مثالية في سلوكها وتصرفاتها كلها، فالتكوين البيولوجي الذي قدره الله جعلها أكثر ضعفاً في عزيمتها وإرادتها وشخصيتها بوجه عام.

وهذا ما يجعلها تقصر في أعمالها ولا تتمها ولا تقوم بواجبها. كما ينبغي في هذه الحالة تحمل هذا النقص منها ما أمكن، ولكن لا ينبغي في نفس الوقت أن تترك على حريتها في كل تصرفاتها فتعوج أكثر وتهمل أعمالها ولا تؤديها بالدرجة التي تستطيع أداءها، وإلى هذا المعنى أشار الرسول ﷺ في قوله: «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها» [رواه مسلم].

المداعبة والممازحة:

مما لها عليه أن يمازحها ويداعبها، فإن المداعبة تطييب لقلبها وإراحة لنفسها وجبر لخاطرها، وإن فيه

تنشيطاً إلى العمل عن رغبة في إرضاء الزوج وحب له.

كان عليه الصلاة والسلام يمزح مع النساء تطييباً لهن. روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها بسند صحيح، أنه عليه الصلاة والسلام كان يسابقها في العدو، فسابقته يوماً وسبقها في بعض الأيام فقال ﷺ: «هذه بتلك». وفيما رواه الحسن بن سفيان في «مسنده» عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه.

أخرج الترمذي والنسائي واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله».

على أن المرء إذا مازح أهله أن يقول صدقاً ولا يكذب، متأسّياً برسول الله ﷺ الذي صح عنه أنه قال: «إني لأمزح ولا أقول إلا صدقاً».

فقد قال لعمته صفية يوماً: «لن تدخل الجنة عجوز» فبكت، فقال لها ﷺ وهو يضحك: «الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة]». ويجب على الرجل أن يكون معتدلاً في مزاحه، فلا يزيد إلى أن تجترئ عليه، فإن ذلك يفسد خلقها ويزيل مهابته من قلبها.

العدل:

مما لها من الحقوق عليه: العدل بينها وبين أزواجه الباقيات إن كان متزوجاً بأكثر من واحدة لقوله ﷻ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء] فالعدل في الآية السابقة هو العدل الواجب في القسم بين النساء من طعام وكسوة ومنزل ومبيت.

والعدل في قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ﴾ [النساء: ١٢٩]. هو العدل في الحب الخارج عن اختيار المرء، لا يلزم منه نفي استطاعة العدل في القسم الداخل في اختياره يدل عليه ختام الآية: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء]. والمعلقة: هي التي لا يحسن زوجها عشرتها، فلا هي مطلقة فتتزوج ولا يحسن زوجها عشرتها.

عن عائشة قالت: كان رسول الله يقسم فيعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك» فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» [رواه أبو داود] يعني المحبة القلبية، لأن السيدة عائشة ﵂ كانت أحبّ إليه من سائر أزواجه رضي الله عنهن. وصفوة القول: أن التعديد جائز بشرط العدل، والجور حرام.

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقّه مائل». أي ليعرف أهل الجمع أنه كان في الدنيا جائراً.

فالعدل يحقق الاستقرار للأسرة وينشر عليها السعادة والهناءة والسرور.

الاستمتاع:

إن الإسلام أمر بإعطاء حق الزوجة، كما أمر بإعطاء حق نفسه وحق الله في العبادة. فقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل»، قلت: نعم، قال: «فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً» [رواه البخاري]. ولقد حرّم الإسلام على الزوج أن يتعمّد هجر الزوجة وإرهاقها، لذا كان الإيلاء ـ الحلف على عدم قربان الزوجة مدة أربعة أشهر فأكثر ـ أمراً تأباه الشريعة. وبناء على ذلك قرّر الإسلام أن المعاشرة الزوجية حق لكل من الزوجين، ولا يجوز لأحدهما أن يقصر في حق صاحبه في هذه الناحية، كما أكد حق كلا الزوجين في الاستجابة

لهذا الدافع، ورغب في المعاشرة الزوجية إلى حد اعتبارها قربة وعبادة تستحق الأجر والثواب من الله تعالى[1].

فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وفي مباضعتك أهلك صدقة». فقال أبو ذر: أيؤجر أحدنا في شهوته؟ قال: «أرأيت لو وضعته في غير حل أكان عليك وزر؟» قال: نعم. قال: «أفتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير» [رواه أحمد].

وهناك قصة طريفة حدثت أيام عمر بن الخطاب ﷺ. فعن محمد بن معن الغفاري قال: (أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت: يا أمير المؤمنين! إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل، فقال لها: نِعْمَ الزوج زوجك. فجعلت تكرر هذا القول، ويكرر عليها الجواب... فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين! هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه. فقال عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: عليّ بزوجها. فأُتِي به فقال له:

---

(١) ماذا عن المرأة؟، «فتاوى معاصرة»، للدكتور يوسف القرضاوي، ص٤٢٢.

إن امرأتك هذه تشكوك. قال: أفي طعام أو شراب؟ قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده
ألهى خليلي عن فراشه مسجده
زهده في مضجعي تعبده
فاقض القضا كعب لا تردده
نهاره وليله ما يرقده
فلست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهَاني في النساء وفي الحجل
إني امرؤ أذهلني ما نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها عليك حقاً يا رجل
نصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك. فقال عمر: والله ما أدري من أين أمر بك

أعجب؟ أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما؟... اذهب فقد وليتك قضاء البصرة)[1].

أن تصل أرحامها:

مما لها عليه السماح لها بزيارة أهلها إذا أرادت ذلك، والسماح لأهلها بزيارتها في بيتها في أوقات معلومة، لأن ذلك من صلة الرحم وهي واجب في الإسلام، فإذا منع أبويها من زيارتها فليس له الحق في أن يمنعها من زيارتهم ولو مرة واحدة في الشهر، لأنه إن فعل ذلك يأثم.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد]» [أخرجه مسلم].

---

(١) «المغني» ٧/ ٣٠٤.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من سرّه أن يبسط له في رزقه ويُنْسَأ له في أثره فليصل رحمه» [أخرجه البخاري].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» [أخرجه البخاري ومسلم].

مساعدتها ومعاونتها عند الحاجة:

فالزوج الذي يريد أن يكون بيته سعيداً يرفرف عليه الود والوئام، عليه أن يساعد زوجته ولا سيما عند الحاجة وخاصة في الحالات المرضية، ويتأسى في ذلك بالرسول ﷺ الذي يقول: «خياركم خياركم لأهله» [رواه البخاري]. ولهذا لما سُئِلت عائشة ﷺ عن عمل الرسول ﷺ في البيت قالت: (كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الآذان خرج) [رواه البخاري].

التلطُّف والمؤانسة:

وليست حاجة المرأة من زوجها مادية تقتصر على النفقة والكسوة ونحوها فحسب، بل لها حاجة نفسية أن يتلطف بها ويطيب نفسها ويدخل السرور عليها، فهذا من تمام المعاشرة بالمعروف. ولا يظن أن هذا مما ينافي وقار الرجل ويسقط من هيبته، فقد كان سيد البشر

محمد ﷺ يسابق أم المؤمنين عائشة زوجه ﵂ فتسبقه مرة ويسبقها أخرى ويقول: «هذه بتلك» [رواه أحمد وأبو داود].

احترام ملكيتها الخاصة وألا يتصرف فيها إلا بإذنها:

لقد احترم الإسلام المرأة بعد أن كانت لا ترث ولا تملك في الجاهلية، بل كانت تُورّث وتُمْتَلك، فقرر الإسلام لها نصيباً من الإرث وجعل المهر واجباً، فيجب على الزوج أن يحترم لها ملكيتها ولا يتصرف فيها إلا بإذنها. قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء]. فالإسلام قد احترم هذه الملكية كما ذكرنا آنفاً. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء].

الفصل الرابع

ذكر الله عز وجل

قد يتساءل القارئ ويقول: ما الصلة بين ذكر الله وموضوع الكتاب؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إن ذكر الله ﷻ هو أساس السعادة في الدارين، وما دام ذكر الله جل شأنه وتباركت أسماؤه وجلّت قدرته من أسباب السعادة في الدارين، لذلك كان ولا بد أن يكون فصلاً من هذا الكتاب والذي يدور حول السعادة الأسرية.

فكثير من الأسر المسلمة تشكو من المشاكل لأتفه الأسباب، يثور الزوج في وجه زوجته وتتجهّم الزوجة في وجه زوجها، وترى كثيراً من البيوت تعلوها الكآبة والضجر، الزوج يخرج من بيته ويتمنى ألا يعود إليه وكذلك الزوجة. فهل يا ترى فكّر كل واحد منهما لما سبب ذلك؟ وما العلة الكامنة وراء ذلك الشقاء وهذه التعاسة؟ والإجابة عن ذلك سهلة يسيرة لقد خلت بيوتنا من ذكر الله، وامتلأت بالغناء الماجن وأفلام الفيديو الداعرة إلا من رحم ربي، فتحقق وعيد الله عز وجل

حيث قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

نسينا ذكر الله وامتلأت آذاننا بما يغضب الله، فولّت السعادة مدبرة، وأقبلت التعاسة مسرعة، وصار كل منّا يعيش في شقاء. إذاً ما الحل؟ الحل يكمن في الرجوع إلى ذكر الله سبحانه، والابتعاد عن سماع هذا الهراء المسمى بالغناء، وأن نملأ أسماعنا وأعيننا من كتاب الله، وأن نرطّب ألسنتنا بذكر الله عز اسمه لقوله ﷺ لعبد الله بن بشر: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله» [رواه ابن حبان وابن ماجه]. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

يقول صاحب «الظلال» في تفسير هذه الآية: (ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة، يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهشّ لها ويندّى لها،

ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام. ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفرداً بلا أنيس، فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه. وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله. ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون، لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بالله خالق الكون. ليس أشقى ممن يعيش لا يدري لِمَ جاء ولم يذهب ولم يعاني ما يعاني في الحياة. ليس أشقى ممن يسير في الأرض يوجس من كل شيء خيفة، لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شيء في هذا الوجود. ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه فريداً وحيداً شارداً في فلاة، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هادٍ ولا معين، وإن هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر، إلا أن يكون مرتكناً إلى الله مطمئناً إلى حماه مهما أوتي من القوة والثبات والصلابة والاعتداد... ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله، فلا يثبت لها إلا المطمئنون بالله)[1].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]. والله عز وجل قد ذكر

(١) «في ظلال القرآن» ٦/ ٢٠٦٠.

أثر الذكر في قلوب المؤمنين فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال]. وقال جلّت قدرته: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

وقال تباركت أسماؤه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر]. بل لقد أمرنا الله سبحانه بذكره في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم. قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب]. وقال جلّت حكمته: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة]. وقال جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون]. ولو كان لذكر الله حدّ معين لما أمر به المؤمنون عند لقاء الأعداء. قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال].

قال القرطبي: لو رخّص لأحد في ترك الذكر لرخّص لزكريا. يقول الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران]. ورخص للرجل يكون في الحرب؟ يقول الله عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال] ولقد أعدّ الله مثوبة كبيرة للذاكرين والذاكرات. قال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب][1].

ومَنْ منّا لا يريد المغفرة ودخول الجنة والصحابة الكرام الأطهار كما ورد في كتب السيرة، عندما يمر الواحد بين دورهم يسمع دوياً كدوي النحل من كثرة ذكر الله، هذا يستغفر وذاك يقرأ القرآن، وهؤلاء يقومون الليل، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة التي كانت حياته كلها ذكراً لله، حتى إذا نام لسانه لا ينام قلبه عن ذكر الله، والله سبحانه يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) «تفسير القرطبي» ٨/ ٢٤.

واعلم أيها الزوج المسلم وأيتها الزوجة المسلمة! أن قراءة القرآن الكريم من أفضل الأذكار تلفُّظاً به تلاوة، ونورد هنا بعض الأحاديث النبوية الشريفة في فضل تلاوة القرآن الكريم وتعلُّمه.

عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُترجّة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر» [رواه البخاري].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» [رواه البخاري].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو له حافظ مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران» [رواه البخاري]. ونختم هذا الفصل بهذين الحديثين الشريفين في فضل الذكر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني،

فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» [متفق عليه].

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» [رواه مسلم].

وتتمة للفائدة: رأيت أن أذكر فضائل بعض السور الكريمة حتى يتعهدها المرء وزوجه بالقراءة في البيت، حتى تحل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويطرد عنهم الشيطان.

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة» [رواه مسلم].

وفي «الصحيحين» عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾» ومعنى كفتاه: قيل من شر الشياطين فلا يكون له عليه سلطان[1].

وخلاصة القول: أن القرآن كله نور ورحمة وهداية، فعلينا أن نملأ بيوتنا بتلاوته حتى نطرد الشياطين، فبذكره سبحانه تحل السعادة مرفرفة وتنزل علينا السكينة وتغشانا الرحمة ويذكرنا الله فيمن عنده.

(١) «التذكار في أفضل الأذكار»، للقرطبي، ص٢٢٥.

الفصل الخامس

نماذج للقدوة

سوف أذكر لمن يريد أن يبني بيتاً سعيداً، بعض النماذج للقدوة الصالحة كي يقتدي بها في تسيير دفة الأسرة إلى شاطئ السعادة وبر الأمان، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

فقد كان ﷺ يحافظ على شعور وكرامة أزواجه، ومما يروى في ذلك محافظته على شعور وكرامة السيدة صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين ﵂ زوج رسول الله ﷺ، فقد كانت من يهود بني النضير، وقد حدث خلاف بينها وبين السيدتين عائشة وحفصة زوجتي رسول الله فقالتا لها: نحن أكرم على رسول الله منك، فشكت ذلك للحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام فقال لها: «ألا قلت لهما وكيف تكونان أكرم مني؟ وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى».

ومما روي عنه ﷺ أنه هجر السيدة زينب أم المؤمنين شهرين كاملين عقوبة لها وتأديباً لأنها لقبت السيدة صفية باليهودية.

عن عائشة: (أن بعيراً لصفية اعتلّ وعند زينب فضل من الإبل، فقال رسول الله ﷺ لزينب: «إن بعير صفية قد اعتل فلو أنك أعطيتيها بعيراً» قالت: أنا أعطي تلك اليهودية، فتركها، فغضب رسول الله ﷺ شهرين أو ثلاثاً حتى رفعت سريرها وظننت أنه لا يرضى عنها قالت: فإذا أنا بظلّه يوماً بنصف النهار، فدخل رسول الله ﷺ فأعادت سريرها)[1].

وروى البخاري وأبو داود وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه قال: ـ أظنها عائشة ـ فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها بقصعة فيها طعام. وفي رواية: فضربت عائشة بيدها فكسرت القصعة فضمها. وفي رواية: فأخذ رسول الله ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى وجعل فيها الطعام ويقول: «غارت أمكم كلوا» فأكلوا حتى فرغوا، فدفع القصعة وحبس المكسورة في بيته وقال: «طعام بطعام وإناء بإناء».

---

(١) «قبسات من حياة الرسول»، للشيخ أحمد محمد عساف، ص٢٦٤.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيت صانعاً طعاماً مثل صفية صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً، فبعثت به فأخذني أَفْكَلٌ[1] فكسرت الإناء فقلت: يا رسول الله! ما كفّارة ما صنعت؟ قال: «إناء مثل إناء وطعام مثل طعام».

وروى النسائي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: زارتنا سودة يوماً فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها، فعملت له حريرة (من النخالة) أو قال: خزيرة (من اللبن) فقلت: كُلي فأبت، فقلت: لتأكلين أو لألطخن وجهك فأبت، فأخذت من القصعة شيئاً، فلطخت به وجهها، فضحك رسول الله ﷺ فرفع رسول الله رجله من حجرها لتستقيد مني وقال لها: «لطخي وجهها» فأخذَتْ من الصحفة شيئاً فلطخَتْ به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك.

وروى النسائي عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً، فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها وقال: يا بنية فلانة! ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ؟

---

(١) أفكل: الرعدة الشديدة.

فأمسكه رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر مغضباً. فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة أنقذتك من الرجل»، ثم استأذن أبو بكر بعد أن اصطلح رسول الله ﷺ وعائشة فقال: أدخلاني في السلم كما أدخلتماني في الحرب، فقال رسول الله ﷺ: «قد فعلنا».

وروى الشيخان عن الأسود بن يزيد قال: سأل عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: (كان بشراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخيط ثوبه، ويخدم نفسه، ويخصف نعله، ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم، ويكون في مهنة أهله ـ يعني خدمة أهله ـ فإذا سمع المؤذن خرج إلى الصلاة. وفي لفظ: فإذا حضرته الصلاة قام إلى الصلاة).

النموذج الثاني للقدوة: امرأة شريح القاضي:

يحدثنا التاريخ أن شريحاً القاضي قابل الشعبي يوماً فسأله الشعبي عن حاله في بيته فقال له: من عشرين عاماً لم أرَ ما يغضبني من أهلي. قال: وكيف ذلك؟ قال شريح من أول ليلة دخلت على امرأتي رأيت فيها حسناً فاتناً وجمالاً نادراً. قلت في نفسي: فلأطهر نفسي وأصلي ركعتين شكراً لله، فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلّم بسلامي، فلما خلا البيت من

الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدي نحوها فقالت: على رسلك يا أبا أمية كما أنت، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله! إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبيّن لي ما تحب آتيه وما تكره فأتركه. وقالت؛ إنه كان لك في قومك من تتزوّجه من نسائكم، وفي قومي من الرجال من هو كفء لي، ولكن قضى الله أمراً كان مفعولاً وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك؟ قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على النبي وآله وأسلم. وبعد: فإنك قلت كلاماً إن ثبتِّ عليه يكن ذلك حظك وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها. فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري. فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ومن تكره فأكره؟ قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء. قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان برأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا فلانة في البيت قلت: من هي؟

قالوا: ختنك (أي أم زوجك) فالتفتت إليّ وسألتني كيف رأيت زوجتك. قلت: خير زوجة.

قالت: يا أبا أمية! إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين، إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال بيوتهم شراً من المرأة المدللة.

فأدّب ما شئت أن تؤدب وهذّب ما شئت أن تهذب، فمكثت معي عشرين عاماً لم أعتب عليها في شيء إلا مرة، وكنت لها فيها ظالماً كنت إمام قومي، فسمعت الإقامة وقد رأيت عقرباً، فعجلت عن قتلها وكفأت الإناء عليها. وقلت: لا تحركي الإناء حتى أجيء فعجلت الإناء فضربها العقرب فجئت وهي تتلوى، فلو رأيتني يا شعبي وأنا أفرك إصبعها في الماء والملح وأقرأ عليها.

وكان لي جار لا يزال يضرب امرأته فقلت:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم
فشلّت يميني حين أضرب زينبا
أأضرب من غير ذنب أتت به
فما العدل مني ضرب من ليس مذنبا[1]

هكذا فلتكن النساء.

---

(١) «العقد الفريد»، لابن عبد ربه ٦/٩٢ ـ ٩٥ بتصرف.

الفصل السادس

قوامة الرجل

إن من أسباب السعادة بين الزوجين أن تكون القوامة بيد الزوج. قال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء]. فقوامة الرجل لا تخل بحقوق المرأة ولا تحرمها من كرامتها ولا تنتقص من إنسانيتها شيئاً، بل بالعكس من ذلك. فقد بيّنت الآية الكريمة أن لكل واحد من الزوجين على صاحبه حقاً، وأن الزوج مختص بحق له عليها ليس لها عليه مثله بقوله سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

قال القرطبي في «تفسيره»: فزيادة درجة الرجل

بعقله وقوته على الإنفاق وبالدية والميراث والجهاد[1].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة]. أي قيامهم عليهن بالتأديب والتدبير والحفظ والصيانة، لما فضل الله به الرجل على المرأة في العقل والرأي وبما ألزمه الله تعالى من الإنفاق عليها[2].

وشأن قوامة الرجل على المرأة والأولاد والبيت، شأن الرئاسة اللازمة لكل جماعة مهما قلّ عددها، وليس أحوج من الأسرة لهذه القيادة فهي في أمسّ الحاجة إلى قوامة رشيدة ورئاسة قوية حازمة، لأن الحياة الزوجية حياة اجتماعية وأنه لا بد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إليه في الخلاف، لئلا يعمل فرد ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام، والإسلام يدعو إلى هذه الرياسة ويطلبها. يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «لا يحل لثلاثة يكونوا بفلاة من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم» [رواه أحمد][3].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٣/ ١٢٥.

(٢) «أحكام القرآن»، للجصاص ٢/ ١٨٨.

(٣) «نيل الأوطار» ٩/ ١٥٧.

وليس أجدر من الرجل للقيام بهذه المسؤولية لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ولأنه لا يندفع في الغالب مع عواطفه ووجدانه. أما طبيعة المرأة فيلاحظ فيها إرهاف العاطفة وسرعة الانفعال والتأثر، وقد خُلِقت هذه الصفات في المرأة لتكون مصدر عطف وحنان على أولادهما، كما أعدتها الفطرة الإلهية للحمل والولادة، لذلك كانت طبيعتها لا تقوى على الكفاح الخارجي. أما الرجل فقد وهبه الله قوة في البدن تمكّنه من الكفاح والعمل خارج المنزل والقيام بمشاق الأمور، وقد فطر الله الرجل على هذا الطبع ليجعله كفُؤاً لاختصاصه بالرياسة والرعاية، وفرض عليه السعي لتحصيل موارد الأسرة كما يقع عليه عبء تدبير النفقات التي تتطلب مجهوداً لا تقوى عليه المرأة.

إذن، فلا ضير من قوامة الرجل على الأسرة، فهو أحق بها وأهل لها وأقوى وأقدر على فهم الحياة، وما يجب لها بحكم اختلاطه في المجتمع العام، كما أنه أقدر على ضبط عواطفه وتغليب حكم عقله، فهذه الصفات وغيرها تؤهله للرئاسة أكثر من سواه.

والقوامة التي فرضها الإسلام للرجال على النساء هي إذن قيادة يجب أن يتوافر فيها ما يتوافر في كل قيادة

رشيدة، فالقائد يجب أن يكون أفضل من في الجماعة التي يقودها وأن يكون أهلاً للمسؤولية.

وهذه القوامة التي منحها الله للرجال دون النساء لها تبعات، يجب أن يقوم بها الرجل من هذه التبعات كما ذكرنا آنفاً:

وأولاها: الإنفاق على أسرته لأن الله تعالى قال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

ثانيها: تعليم زوجته أمور دينها من صلاة وطهارة وغير ذلك من الأمور التي تجهلها المرأة، فإن كان جاهلاً بهذه الأشياء فليأذن لها في سؤال العلماء في ذلك، فإن منعها يأثم. كما أنصح مثل هذا الزوج وغيره ممن لا يعرف أحكام دينه، أن يسأل العلماء وأن يخبر زوجته بما أفتوه في ذلك، وأن يستمع لإذاعة القرآن الكريم، فإن فيها برامج مفيدة له ولزوجه وخاصة إذا كان أمياً وزوجته أمية. فطلب العلم واجب عليه وعليها لقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [رواه مسلم].

ثالثها: تربية أولاده تربية حسنة، لأنه سيسأل عنهم يوم القيامة لقوله ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما

استرعاه، حفظ أم ضيّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» [أخرجه ابن حبّان في «صحيحه»]. وسنفرد لذلك فصلاً إن شاء الله.

رابعها: ألا يسيء الزوج استعمال سلطة القوامة التي منحها الله له على زوجته، فيستغل مشروعيتها في إيذاء الزوجة وإلحاق الضرر بها، فإذا ما أطاعته فيما هو حق ومعروف وليس في معصية، وكانت فيه أمينة له، حافظة لماله وعرضه وسمعته في حضوره وغيبته، فليس له أن يؤذيها باليد أو باللسان. قال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء].

ففي الآية تلقين زجري لسيئ الأخلاق والسلوك من الأزواج الذين يحاولون قهر زوجاتهم بالعنف والشتائم بدون داع أو مبرر[1].

---

(١) «سمو التشريع الإسلامي في معالجة النشوز والشقاق بين الزوجين»، د. كوثر كامل علي، ص٧١.

الفصل السابع

الكرم وعدم البخل

إن من الأمور التي تسبب التعاسة والشقاء للأسرة بخل الزوج، فترى بعض الرجال يؤثرون أنفسهم بالطعام الفاخر واللباس الأنيق دون أهليهم وأولادهم، فترى الواحد منهم ينفق أمواله على أصدقائه، ويبخل بماله على أولاده وزوجته، بل قد يتعدى الأمر إلى إنفاق المال فيما يغضب الله عز وجل من شرب للدخان أو لعب للميسر أو غير ذلك من الأفعال التي لا يقرّها دين ولا عقل، ألا فليعلم هذا الزوج وأمثاله أن الله سيسأله يوم القيامة عن أهل بيته.

روى ابن حبّان في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» [رواه ابن حبان]. بل إن رسول الله ﷺ جعل النفقة التي ينفقها الزوج على زوجته من الصدقات التي يؤجر عليها.

روى أحمد في «مسنده» عن النبي ﷺ قال: «ما

أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة» [رواه أحمد]. بل إن الزوج ما ينفق على أهله وأولاده نفقة يبتغي بذلك وجه الله، إلا وأعطاه الله ثواب تلك النفقة.

روى البخاري في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فم امرأتك». ولقد حذّر الإسلام من البخل تحذيراً شديداً وخاصة بخل الرجل على أهله وأولاده.

روى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت». والله سبحانه قد جعل الإنفاق كل على حسب طاقته قال جلّ شأنه: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق]. أما إذا كان طبعاً فيه لا مفر منه، فللزوجة أن تأخذ ما لا بد منه مما هو ضروري، لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن هنداً بنت عتبة قالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

الفصل الثامن

قيام المرأة بواجبها نحو بيتها

إن من أخص الأعمال الواجبة على المرأة، العمل داخل البيت وإدارة شؤونه وتدبيره ورعاية الأولاد، فإن ذلك مما يجلب السعادة على البيت. فعلى المرأة أن تطرد الكسل عن نفسها، وتقوم بإدارة شؤون بيتها ورعايته على خير وجه، ولها في نساء النبي ﷺ أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة. فلقد ورد من الآثار الصحيحة ما يدل على أنهن كن يقمن بخدمة البيت من كنس وطبخ وتربية أولاد.

ونساء هذا الزمان لسن أفضل ولا أحسن من أمهات المؤمنين وأزواج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. ولقد سبق وذكرنا فيما مضى قصة السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما مع زوجها الزبير. ونورد هنا ملخص القصة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فعنها رضي الله عنها قالت: تزوجت الزبير بن العوام وما له

في الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه وناضحه الذي يحمل له الماء، فكنت أعلف فرسه واستقي الماء وأخرز غربه (أي أضبط دلوه بالخرز) وأعجن ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز لي جارات لي وكنّ نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير، قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني.

عن علي رضي الله عنه قال: إن فاطمة سيدة نساء العالمين أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق... فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتما: إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» [رواه البخاري]. ولكن من العدل أن تقسم أعباء الحياة بين الزوجين، فإذا ألقي على كاهل الزوج واجب العمل لكسب نفقات الأسرة والكدح الخارجي، كان على الزوجة القيام على شؤون المنزل وتدبيره عملاً بقول الرسول ﷺ: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» [رواه البخاري من حديث طويل].

وينبغي للرجل أن يكون عوناً لأهله بحسب

استطاعته وقدرته وظروفه المناسبة. فلقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: (كان في مهنة أهله) [رواه البخاري].

فهذا أكرم خلق الله وخاتم رسل الله يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته، ونحن لنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وليس معيباً لمن وسع الله رزقه أن يتخذ خادماً، ولكن يجب أن يكون هذا الخادم ـ وفق الضوابط الشرعية ـ وهذه مسألة تكلم فيها كثير من العلماء، ولقد اتخذ الرسول ﷺ وجمع من أصحابه خداماً لهم ولم يكن هذا معيباً عندهم.

الفصل التاسع

المودة والرحمة بين الزوجين

ألا فلينظر كل من الرجل والمرأة بعين البصيرة إلى قول الله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم]. نعم لقد جعل الله سبحانه المودة والرحمة بين الزوجين، فالله سبحانه قد خلق النساء من جنس الرجال، وجعل بدء خلق المرأة من جسد الرجل ليتحقق الوفاق ويكتمل الأنس وجعل بين الجنسين المودة أي (المحبة) والرحمة أي (الشفقة) ليتعاون الجنسان على أعباء الحياة، وتدوم الأسرة على أقوى أساس وأتم نظام، ويتم السكن والاطمئنان والراحة والهدوء، فإن الرجل يمسك المرأة ويتعلق بها إما لمحبته لها أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك[1]. إن هذه المودة والرحمة تكون بين الزوجين حينما يسيران على منهج الله ﷻ،

(١) «التفسير المنير»، وهبة الزحيلي ٦٩/١٢.

فنحن نجد الطلاق في هذا العصر يحدث كثيراً وبصورة مخيفة إلى حد لا يمكن السكوت عليه. وقد يتساءل القارئ أين المودة والرحمة؟ في علاقة كلا الزوجين بعضهما ببعض.

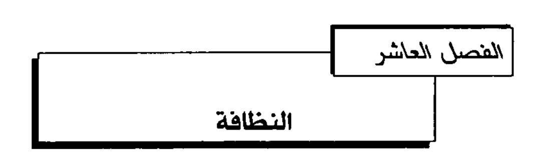
نقول لهذا السائل: لو أن كلا الزوجين اتقى الله في الآخر لرفرفت عليهم السعادة وحل الهناء والوئام، ولكننا نجد كثيراً من الأزواج والزوجات كل واحد منهما يطالب بحقوقه دون أن يعطي حق غيره عليه. فمن أين إذن توجد المودة والرحمة؟ فهدية من الرجل لزوجته أو فسحة جميلة مع ابتسامة من الزوجة لزوجها والعمل على إرضائه بهذه الأشياء وغيرها، يحل التفاهم محل الشقاء والانسجام محل الخلاف. والله ﷻ حينما يتقرّب إليه العبد ويؤدي ما عليه من الحقوق سيجعل حياته هنيئة سعيدة. ولن تكون المودة والرحمة إلا بابتعاد كل منهما عما ينفر صاحبه وسعيه إلى ما يرضيه، وتفانيه في أداء الواجب والتسامح والصفح عن الهفوات.

وقد أمر الله الرجال أن يعاشروا أزواجهم بالمعروف، ورغّبهم في الصبر عليهن، ووعدهم على ذلك بالخير الكثير حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ

مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ [النساء]. والنساء مأمورات أيضاً بذلك، ولكن الخطاب للرجال لأنه مظنة الظلم منهم أكثر لسلطانهم وقوتهم، على حين أنه من المرأة أقل لضعفها[1]. ولهذا السبب أيضاً وجه الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه، الأمر إلى الرجال ليحسنوا عشرة أزواجهم حيث قال عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» [رواه مسلم].

---

(١) «العلاقات الأسرية في الإسلام»، د. محمد عبد السلام أبو النيل.



الفصل العاشر

النظافة

يقول الله سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١﴾ [الأعراف]. ويقول ﷺ: «الطهور شطر الإيمان» [رواه مسلم].

عن صالح بن أبي حسان قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: (إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا) أراه قال: «أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود» قال: فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال: حدثنيه عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبي ﷺ مثله إلا إنه قال: «نظفوا أفنيتكم» [قال أبو عيسى: هذا حديث غريب][1].

وقال ﷺ: «اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم، واستاكوا وتزيّنوا وتنظّفوا، فإن بني إسرائيل لم يكونوا

(١) «تاج العروس» ٣/ ١٦٢.

يفعلون ذلك فزنت نساؤهم» [الجامع الصغير].

فالإسلام قد أولى النظافة جلّ عنايته لما فيها من وقاية الإنسان من الأمراض والأوبئة، وليبدو في منظر حسن وصورة جميلة محبّبة إلى النفس، والنظافة إحدى أسباب السعادة بين الزوجين، فإذا أهمل كل واحد منهما نظافة جسمه ونظافة ثيابه، فإن منظره يكون بشعاً ورائحته نتنة فينفر الآخر منه، فلا يحب أن يقترب منه ويرغب فيه، وبذلك يتحول عنه إلى غيره. ولهذا ينبغي أن يتزين كل واحد لصاحبه بالصورة التي يحب أن يظهر فيها. وكان ابن عباس ﷺ يقول: إني أتزيّن لامرأتي كما كانت تتزيّن لي[1]. وكان الرسول ﷺ يأمر دائماً أصحابه بأن يظهروا أمام الناظر بالمنظر المحبب، فقد جاء إليه مرة رجل ثائر شعر الرأس، فأشار إليه بإصلاح شعره، وما كان الرسول ﷺ يظهر أمام الناس إلا نظيف الملبس مسرح شعر الرأس واللحية. فالمرأة الذكية هي التي عندما يعود زوجها من عمله تستقبله وقد ارتدت أجمل الثياب وتضع أفضل العطور، وتبدو في أحسن هيئة وأجمل صورة. فهذا بلا شك يدخل الفرحة والسرور إلى قلب الزوج وتعينه بذلك على غض بصره ما دام له زوجة

(١) «الجامع لأحكام القرآن الكريم» ٥/ ٩٧.

تتجمّل له وتتزيّن، وليس هذا للمرأة فقط بل على الرجل أيضاً أن يتزيّن لزوجته.

قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إليَّ في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية (نوع من الطيب) فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها عليَّ امرأة ودهنتني بالطيب وإنهن يشتهين منا ما نشتهي منهن، كما يجب على المرأة أن تعتني بنظافة بيتها، فتجعل سلة تلقي فيها المهملات ثم تُلْقى في المكان المخصّص للقمامة، لأن رسولنا الكريم قد حثّنا على ذلك فقال: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظّفوا أفنيتكم ولا تتشبّهوا باليهود» [قال أبو عيسى: حديث غريب] ويبدو أن اليهود ما كانوا يهتمون بالنظافة في ذلك الوقت.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الإسلام نظيف فتنظّفوا، فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف» [رواه أحمد].

الفصل الحادي عشر

الاحترام المتبادل بين الزوجين

إن من أسباب دوام المحبة والألفة بين الزوجين، أن يحترم كل منهما الآخر، ويحافظ على مشاعره وأحاسيسه، فإزالة الكلفة وعدم احترام الزوجة للزوج والزوج للزوجة قد تزرع بينهما الشقاق والخلاف.

فالزوج حينما يمزح مع زوجته يجب أن يكون مزاحه معقولاً، فلا يتمادى فيه وإلا سقطت هيبته أمام زوجته ويحدث ما لا يحمد عقباه، وكذلك الزوجة يجب عليها أن تراعي في مزاحها مشاعر زوجها وأحاسيسه، فلا تتكلم أمامه بكلمة تجرح فيها شعوره، كما يجب أن يكون هذا المزاح بين الزوج والزوجة فقط لا يكون أمام أهليهما ولا أمام أولادهما.

ويجب أن نختار وقت المزاح والمداعبة، فالزوجة قد ترى زوجها مجهداً ومتعباً بعد عمل يوم شاق ويريد الراحة وتريد أن تداعبه، فهذا قد يغضب الزوج كما أن الزوج الذكي الوفيّ يحرص على احترام نفسية زوجته

ويبادلها ما تقدمه له من الحب والتقدير، فهذا أدعى إلى دوام المحبة والسعادة بين الزوجين.

وأرى أنه من دواعي الاحترام المتبادل بين الزوجين ومراعاة كل منهما نفسية صاحبه عمل الآتي:

فالزوجة عليها أن تشارك زوجها في السؤال عن همومه، ومحاولة إدخال السعادة إلى قلبه، ولا تضخم بعض المشاكل التي يمر بها زوجها، ولا تحاول انتقاص أهله في ملبسهم أو أخلاقهم أو معاملاتهم، وعليها عدم إطالة الحديث في الهاتف عند وجود زوجها في المنزل، ولا تحاول مقارنة زوجها بزملائه، وتعدّد ما فعلوا لزوجاتهم، وأن تعين زوجها على أمور دينه، كقيام الليل وإيقاظه للصلوات... ولا تنقل أسرار بيته للخارج، عليك بالاهتمام بأقارب الزوجة وخاصة والديه، والمداومة على صلتهم، فهذه الأشياء وغيرها تدخل السرور إلى البيت وتجعله يرفرف على الأسرة. هذا من جانب الزوجة. أما الزوج فعليه أن لا يكثر المزاح لأنَّ كما أسلفنا كثرة المزاح يؤدي إلى قلة الهيبة وعدم الاحترام، وعلى الزوج أيضاً أن يستشير زوجته في بعض الأمور التي تواجهه وإن لم يأخذ برأيها، فإن ذلك يدخل السرور عليها وله في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة. فقد

استشار أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها بعد صلح الحديبية بعدما كره بعض الصحابة هذا الصلح لأنهم رأوا فيه غبناً لهم، فدخل عليها ﷺ فقال: «يا أم سلمة! ما شأن الناس؟» قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً واعمد إلى هديك حيث كان، فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق فقام الناس ينحرون ويحلقون) [رواه أحمد]. فكان الأخذ برأيها نجاة للمسلمين.

وعليه أن لا يكثر من العتاب لها أو معاقبتها، وخاصة أمام أبنائه أو بحضور آخرين، فذلك مدعاة للشقاق وعدم الألفة.

كما عليه أن يغضّ الطرف عن بعض التقصير الذي يقع من الزوجة (كتأخير الطعام أو عدم كيّ الملابس...).

وهدية صغيرة أيها الزوج لزوجتك ونزهة قصيرة، ففي هذا وغيره كسر للملل وتغيير لنمط الحياة.

الفصل الثاني عشر

تحمل المسؤولية نحو الأهل والأبناء

إن الزوج عليه مسؤولية عظيمة تجاه زوجته وأولاده. يقول الله عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]. فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية.

ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم» [رواه مسلم].

ونظير الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه]. وقوله جلّت قدرته مخاطباً نبيّه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

روى مسلم في «صحيحه» أن النبي ﷺ قال:

«رحم الله امرأً قام من الليل فصلى فأيقظ أهله، فإن لم تقم رشّ وجهها بالماء، رحم الله امرأة قامت من الليل تصلي وأيقظت زوجها، فإذا لم يقم رشّت وجهه من الماء». وروى أيضاً: أن النبي ﷺ كان إذا أوتر يقول: «قومي يا عائشة». وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع» [رواه أحمد وأبو داود والحاكم].

وروى الترمذي في «سننه» عن عمرو بن سعيد بن العاص عن النبي ﷺ قال: «نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن». وذكر القشيري أن عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم] قال: يا رسول الله! نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا؟ فقال: «تنهونهم عما نهاكم الله وتأمرونهم بما أمر الله». وقال مقاتل ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه.

عن معاوية بن قرة أن ابن عباس قال: (من رزقه الله ولداً فليحسن اسمه وتأديبه، فإذا بلغ فليزوجه).

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ

وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] إرشاد للمؤمنين بأن يقوا أنفسهم بأفعالهم وأهليهم بالنصح والوعد والإرشاد. وهذا يتطلّب الالتزام بأحكام الشرع أمراً ونهياً، وترك المعاصي وفعل الطاعات ومتابعة القيام بالأعمال الصالحة، وحثّ الزوجة والأولاد على أداء الفرائض، واجتناب النواهي ومراقبتهم المستمرة في ذلك، فإن فعل الزوج ذلك مع أهله وأولاده الذين هم في مسؤوليته فسوف ترفرف السعادة ويعمّ الأسرة الهناءة والسرور.

الفصل الثالث عشر

المشاكل الزوجية وحلولها

إن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة، فقد يعتريها من آن لآخر بعض المنغصات والمكدرات التي تعكّر صفو الحياة، ولكن الإنسان الذكي هو الذي يستطيع تجاوز تلك العقبات والتغلُّب على هذه المتاعب.

فالمتأمّل في الحياة الزوجية، يجد أن هناك مشكلات كثيرة تقع بين الأزواج، منها ما يتعلق بالزوج، ومنها ما يتعلق بالزوجة، ومنها ما يتعلق بالأبناء.

وفي هذا الفصل سوف نتناول هذه المشكلات بالتفصيل وكيفية علاج كل مشكلة على حدة.

ويمكن إجمال المشكلات التي تقع بين الزوجين في عشر مشكلات:

١ ـ نشوز الزوج.
٢ ـ نشوز الزوجة.
٣ ـ عمل الزوجة خارج البيت.
٤ ـ تأخُّر إنجاب الزوجة.

٥ ـ الرغبة في تتابع الإنجاب.
٦ ـ ولادة البنات دون البنين.
٧ ـ غياب الزوج عن زوجته.
٨ ـ تعدُّد الزوجات.
٩ ـ تفضيل بعض الأولاد على بعض.
١٠ ـ المشاكل مع الجيران.

ومع أولى هذه المشكلات: نشوز الزوج:

هنا قد يتساءل القارئ ويقول: وهل النشوز ينطبق على الرجل كما ينطبق على المرأة؟ نقول له: نعم فالله ﷻ يقول: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء]. فدلّت الآية الكريمة على أن النشوز ليس خاصاً بالمرأة فقط، إنما هو عام في الرجل والمرأة، لأن الأسباب التي تدفع الزوجة للنشوز ربما تدفع الزوج للنشوز أيضاً. ونشوز الزوج يعني: أن يكره الزوج زوجته فلا يلبي رغباتها، ويمل مجالستها، ويترك مضاجعتها، ويعرض عنها فلا يحادثها ولا يأنس بها.

فإذا خافت الزوجة إعراض زوجها عنها ولمست مبادئ الفتور والنفور ودلائل الكراهية والابتعاد، ورأت

من البوادر ما يبعث في نفسها قلقاً على استمرار الحياة الزوجية، فلا جناح عليهما أن يتفاهما ويتصالحا عملاً بقوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء]. يعني بذلك جلّ ثناؤه: المرأة التي علمت من زوجها نشوزاً أي استعلاءً بنفسه إلى غيرها أثرة عليها وارتفاعاً عنها، إما لبغضه، وإما لكراهة منه، وإما لدمامتها، وإما لسنها وكبرها وغير ذلك. وقوله: ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ يعني: انصرافاً بوجهه أو بعض منافعه التي كانت لها منه[1]. وقبل حل مشكلة نشوز الزوج، علينا أولاً أن نبحث عن الأسباب التي تؤدي إلى نشوزه، والتي إذا كان بمقدور المرأة تلافيها فيكون ذلك أفضل، فكما قيل: الوقاية خير من العلاج. فقد يكون من أسباب نفور الزوج وإعراضه عن زوجته، تقصير الزوجة في التجمُّل له بحيث تقابل زوجها وهو عائد من عمله بثياب المنزل التي تفوح منها رائحة طهي الطعام، متناسية التزيُّن لزوجها والظهور بمظهر حسن حتى سائر اليوم.

---

(١) «تفسير الطبري» ٩/٢٦٨.

وفي هذا الصدد قال ابن الجوزي: ينبغي له ـ أي الزوج ـ ألّا يطلع منها على عورة، ويجتهد في ألّا يشم منها إلا أطيب ريح، إلى غير ذلك من الخصال التي تستعملها النساء الحكيمات، فإنهن يعملن ذلك بفطرهن من غير احتياج إلى تعليم. وأما الجاهلات فإنهن لا ينظرن إلى هذا فيتعجلن التفات الأزواج عنهن، ولتكن وقت قربها إليه كاملة النظافة مستحسنة، فينبغي للعاقل أن يكون له وقت تتصنّع فيه المرأة له، وينبغي أن يتصنّع لها ليدوم الود[1].

وقد يكون سبب نفور الزوج من زوجته إهمال الزوجة لأمه وعدم تقديرها والاحتفاء بها، فنجد الكثير من الزوجات علاقاتهن مع أم أزواجهن علاقة باردة، بعيدة تماماً عن الاحترام والتقدير، فيتولد نتيجة لذلك الضغينة في صدر الأم، وإذا كان الزوج بارّاً بأمه فسوف يسود النفور بينه وبين زوجته، فينبغي للزوجة أن تكون بارّة بأم زوجها، وأن تقدم رأيه على رأيها، وأهله على أهلها، ورضاه على رضاها في غير معصية الله. وقد يكون النفور من جانب الزوج بسبب إصابة زوجته بعاهة

---

(١) «المقتنى العاطر من صيد الخاطر»، تهذيب: أبي عبد الله الحداد، ص٢١١.

طارئة، أو مرض يمنعها من القيام بواجباتها، وهنا يكون العلاج من جانب الزوجة وهنا تأتي مرحلة العلاج.

علاج نشوز الزوج:

وضع الإسلام علاجاً لنشوز الزوج يتفق مع ما للمرأة من مشاعر خاصة، فأعطى الزوجة حق معالجة هذا النشوز في نطاق مسؤوليتها كزوجة، وذلك باللجوء إلى الموعظة الحسنة ومحاولة إصلاح أمرها مع زوجها، ولم يعطها الإسلام حق العلاج بالهجر والضرب، كما أعطى الزوج وذلك لاختلاف طبيعتها عن الرجل وضعف سلطتها. ومن طرق علاج الزوج التي ينبغي على الزوجة اتباعها في حالة الخوف من نشوز زوجها ما يلي:

١ ـ على الزوجة أن تتحرى معرفة الدافع لنشوز زوجها، والسبب في التغيُّر والتحوُّل المفاجئ الذي طرأ عليه، وهذا سهل يسير، والزوجة الفطنة الذكية يمكنها أن تتعرّف على سرّ هذا التحوُّل في سلوك زوجها بأكثر من حيلة ووسيلة، بمراقبة عادات زوجها ومعرفة الأماكن التي يرتادها وأصدقاءه ومعارفه الذين يعاشرهم ويختلط بهم.

٢ ـ تحري مرضاة الزوج بكل وسيلة، ولا تخجل الزوجة أو تأنف من ذلك. فالعلاقة الزوجية تدعو إلى التغاضي عن الهفوات والصغائر بين الزوجين، وأن

تتنازل الزوجة عن قليل من كبريائها للتقرُّب من زوجها ولتأكيد الألفة والمودة بينهما، وكم من كلمة طيبة أو إشراقة وجه في مقابلة أو لمسة حانية، وتقديم كل ما يشتهيه الزوج وتلبية حاجياته ومشاركته في حزنه وسروره، كل ذلك يكون له الأثر الحسن في عودة النفوس إلى صفائها والقلوب إلى مودتها، فيعود للحياة الزوجية إشراقها وبهجتها من جديد.

٣ ـ مصالحة المرأة زوجها: فقد أباح ﷻ للمرأة الخائفة المتوقعة نشوز زوجها أو إعراضه عنها، وبدرت له البوادر الدالة على كراهته إياها ورغبته عنها وثبت لها ذلك، فلا حرج عليها ولا عليه في الصلح الذي يتفقان عليه بينهما، كأن تسمح له ببعض حقها عليه في النفقة أو تترك له يومها تستعطفه بذلك، وتستديم المقام في حباله والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح.

روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما: (أن الله أجاز لهما أن يصطلحا على ترك بعض مهرها أو بعض أيامها بأن تجعله لغيرها)[1]. وقال عمر رضي الله عنه: (ما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز) فإذا أسنت المرأة وخافت أن

---

(١) «أحكام القرآن»، للجصاص ٢/ ٢٨٢.

يطلقها زوجها، فتصالح زوجها بترك يومها للأخرى. قال ابن أبي مليكة: (إن سودة بنت زمعة لما أسنت أراد النبي ﷺ أن يطلقها، فآثرت السكون معه فقالت له: أمسكني واجعل يومي لعائشة، ففعل ﷺ، وماتت وهي من أزواجه)[1]. وكذلك فعلت بنت محمد بن مسلمة، روى مالك عن ابن شهاب عن رافع بن خديج أنه تزوج بنت محمد بن مسلمة الأنصارية، فكانت عنده حتى كبرت فتزوج عليها فتاة شابة فآثر الشابة عليها، فناشدته الطلاق فطلقها واحدة، حتى إذا كانت تحل راجعها، ثم عاد فآثر الشابة عليها، فناشدته الطلاق فطلقها واحدة، ثم راجعها فآثر الشابة عليها، فناشدته الطلاق فقال: ما شئت إنما بقيت واحدة، فإن شئت استقررت على ما ترين من الأثرة وإن شئت فارقتك قالت: بل استقر على الأثرة، فأمسكها على ذلك ولم يرَ رافع عليه إثماً حين قرّت عنده على الأثر. قال أبو عمر بن عبد البر (فآثر الشابة عليها) يريد الميل بنفسه إليها والنشاط لها، لا أنه آثرها عليها في مطعم وملبس ومبيت لأن هذا لا ينبغي أن يظن بمثل رافع.

ويمكن إجمال أنواع الصلح المباحة فيما يلي:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٤٠٤.

١ ـ أن تعطي الزوجة على أن يؤثر الزوج أو على أن يؤثر ويتمسك بالعصمة، أو يحسن عشرته معها.

٢ ـ أن يقع الصلح على الصبر والأثرة من غير عطاء، كما فعل رافع بن خديج مع بنت محمد بن مسلمة.

٣ ـ أن تصالح إحداهن صاحبتها عن يومها بشيء تعطيها، كما فعل أزواج النبي ﷺ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان غضب على صفية فقالت لعائشة: أصلحي بيني وبين رسول الله وقد وهبت يومي لك، قالت: فلبست خماراً كان عندي مصبوغاً بزعفران ونضحته، ثم جئت فجلست إلى جنب رسول الله ﷺ فقال: «إليك عني فإنه ليس بيومك» فقلت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وأخبرته الخبر فرضي عنها.

ذكر ابن خويذ منداد في أحكامه، وفيه أن ترك التسوية بين النساء وتفضيل بعضهم على بعض، لا يجوز إلا بإذن المفضولة ورضاها.

وعلى الزوجين أن يستجيبا لبواعث الصلح ودواعي الاستمرار، ويطردا من داخلهما هواجس الخصومة والشقاق، فالصلح على الإطلاق خير من الفرقة والطلاق: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾.

وإذا كان من السمات الملازمة للنفس الإنسانية

سمة البخل بمعناه الواسع: البخل بالأموال، والبخل بالعواطف والأحاسيس، والبخل بأي نوع من أنواع الماديات أو المعنويات عامة.

فإن عليكم أيها الأزواج المؤمنون: أن تتعالوا عن هذه السمة قدر وسعكم، وتستجيبوا لنداء الإحسان ولهاتف التقوى في نفوسكم، فتحسنوا الصحبة والعشرة وتتقوا ما لا يجوز من النشوز والإعراض في حق المرأة والله خبير بما تعملون، سيجازيكم بما تستحقونه وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء].

المشكلة الثانية: نشوز الزوجة:

يقول الله عزّ وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء].

النشوز: العصيان، مأخوذ من النشز، وهو ما ارتفع من الأرض. يقال: نشز الرجل ينشز إذا كان قاعداً

فنهض قائماً، ومنه قوله عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١]. أي: ارتفعوا وانهضوا. وقال أبو منصور اللغوي: النشوز كراهية كل واحد من الزوجين صاحبه. يقال: نشزت تنشز فهي ناشز في اللغة. أما في الشرع فهو عصيانهن وتعاليهن عمّا أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج[1].

من مظاهر نشوز الزوجة:

١ ـ الخروج عن طاعة الزوج والتمرد على سلطانه.

٢ ـ التعالي على الزوج بمالها إن كانت غنية وهو فقير، فبقدر قصر يده يطول عليه لسانها وتعامله معاملة القوي للضعيف أو التعالي عليه بجمالها إن كان هو دميماً.

٣ ـ عدم تلبية رغبة الزوج في الاستمتاع بها.

علاج نشوز الزوجة:

وقد اشتملت الآية الكريمة على تدرُّج منطقي في معالجة هؤلاء الزوجات لردعهن وإصلاحهن وردّهن إلى مكانتهن الطبيعية، لأن تركهن في غيّهن يسبب شقاء البيت ويعرّض الحياة الزوجية للتدهور والانحلال.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٧٠.

ويتمثّل هذا العلاج المتدرّج في ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: الموعظة الحسنة ودفع الإساءة بالإحسان:

إن الزوج يعرف شخصية زوجته منذ الأيام الأولى من الزواج، على أنها شخصية مرحة باسمة الثغر، رقيقة الشعور، لطيفة المعاملة، حسنة الخلق، فإذا ما رآها يوماً عابسة الوجه، لاذعة اللسان، خارجة على طبيعتها الأولى، فلا ينبغي له في هذه الحالة أن يتسرّع ويقول: إنها غيّرت طبيعتها وأصبحت في حالة لا تُطاق اليوم، وبالتالي يقدم على طلاقها وفراقها.

هذا ما يأباه الإسلام، بل عليه أن يقابل الإساءة أولاً بالإحسان وبالصفح واللين واللطف، فإن الرفق يزيل ما بين الشخصين من عداوة وضغينة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت]. فيلين قلبها بذكر الله وذكر ميثاقه الأعظم، وما أوجب الله عليها من الحق والطاعة، وحسن الصحبة وجميل العشرة للزوج، وما يلحقها من الإثم والعقاب بالمخالفة والعصيان، وما عسى أن يترتب على عصيانها وتمردها عليه من انحلال عروة الزوجية، وما يكون من ضياع الولد إن كان لهما ولد.

وينبغي عليه أن يبيّن لها أن النشوز يسقط النفقة والقسم، ويطالبها بالتوبة والاستقامة على طاعته، لأن الله أوجب عليها حق الزوج وطاعته، وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال[1].

روى الترمذي بإسناد حسن أن الرسول ﷺ قال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وذلك لعظم حق الزوج عليها».

فابتسامة من الزوج في وجه زوجته الغاضبة ومعاملتها بالرفق واللين قد يستجيش ذلك عاطفتها وترجع إلى سابق عهدها معه.

فقد روي أن عائشة رضي الله عنها غضبت مرة على الرسول ﷺ حتى قالت: أتزعم أنك رسول الله يا محمد؟ فماذا كان موقف الرسول؟ كان الصفح واللين، فقال: «نعم يا عائشة: أنا رسول الله» فما لبثت أن هدأت وسكنت وعادت إلى طبيعتها الأولى[2].

ومن ناحية أخرى، فإن الإنسان ينبغي ألا يغضب لأمور تافهة إذا ما حدث إزاءه من الآخر ما يضطره إلى

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير ١/ ٤٩٢.

(٢) «إحياء علوم الدين» ٢/ ٤٣٣.

الغضب، فينبغي ألا يتكلم أو يناقش حتى يسكن غضبه، لأن الغضب يذهب العقل فلا يدري بماذا يتكلم وبماذا يحكم وكيف يتصرف وماذا تكون نتيجة هذا وذاك. فالتصرف في حالة الغضب ولو بسيطاً قد يؤدي إلى أخطاء جسيمة لا تقدّر بموازين العقل والحكمة[1]، ولهذا فقد أمر الإسلام بالتغلُّب على الغضب. روى البخاري في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

وعلى الزوج أيضاً: تخويف زوجته من العقاب الإلهي لمن يبيت زوجها وهو عليها غضبان. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح» [رواه البخاري].

فإن رجعت الزوجة إلى الطاعة والأدب حرّم الهجر والضرب، فإن أصرت وأظهرت النشوز بأن عصته وامتنعت عن إجابته إلى الفراش أو تجيبه متبرّمة أو خرجت من بيته بغير إذنه ولم يفد اللين والموعظة الحسنة انتقل إلى **المرحلة الثانية في العلاج وهي: الهجر في المضاجع وهي عقوبة نفسية:**

---

(١) «بناء البيت السعيد»، مقداد يالجن، ص٢١٦.

إن المراد بالهجر في قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ هو أن يكون الرجل وامرأته في فراش واحد لا يجامعها، حيث يريها أنه بالرغم من استقراره معها على فراش واحد فلا تأثير لفتنتها عليه.

ولعلّ الإسلام يهدف من وجود الرجل بجانب المرأة، ثم إعراضه عنها حافزاً على تعرُّف دوافعه، ثم محاولة تصفية الخلاف وحل المشاكل المتراكمة بينهما، فيحل الوئام والوفاق محل النفور والخلاف.

يقول العقّاد في كتابه «الفلسفة القرآنية»[1]: (إن عقوبة الهجر في المضاجع تبدو للكثيرين كأنها عقوبة جسدية، غاية ما يؤلم المرأة منها أن تحرمها من لذّة الجسد بضعة أيام أو بضعة أسابيع، إلا أنها في الحقيقة لا تؤلمها لهذا السبب، ولو كان هذا السبب إيلامها لكانت عقوبة للرجل كما كانت عقوبة للمرأة، ولكنها في الواقع عقوبة نفسية في الصميم، لأن أبلغ العقوبات ولا ريب هي العقوبة التي تمسّ الإنسان في غروره، وتشكّكه في صميم كيانه في المزية التي يعتزّ بها ويحسبها مناط وجوده وتكوينه، والمرأة تعلم أنها ضعيفة إلى

---

(١) «الفلسفة القرآنية»، ص٧٦ ـ ٧٧.

جانب الرجل، ولكنها لا تأسى لذلك ما علمت أنها فاتنة له، وأنها غالبة بفتنتها وقادرة على تعويض ضعفها بما تبعثه من شوق إليها ورغبة فيها، فإذا قاربت الرجل مضاجعة له ثم لم يبالها وقع في وقرها، أن تشك في صميم أنوثتها فهذا تأديب نفسي وليس بتأديب جسدي، وهنا حكمة العقوبة البالغة التي لا تقاس بفوات متعة، ولا باغتنام فرصة للحديث والمعابثة إنما العقوبة إبطال العصيان بشيء، كما يبطل بإحساس العاصي غاية ضعفه وغاية قوة من يعصيه، فالهجر في المضاجع لفتة نفسية عميقة لطبيعة المرأة التي تعتز بجمالها وفتنتها). والمرأة التي أجازها الشارع في الهجر غير محدودة وغايته عند العلماء شهر، كما فعل النبي ﷺ حين أسر إلى حفصة أمراً فأفشته إلى عائشة ﵂ وتظاهرتا عليه، إلا إذا رأت حكمة الزوج المؤمن العاقل غير ذلك الزيادة عليه، لكن لا يبلغ به أربعة أشهر حتى لا يبلغ مدة الإيلاء المقررة شرعاً[1]. أما الهجر في الكلام فلا يجوز للزوجة ولا لغيرها فوق ثلاثة أيام، لما روى أبو هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» [رواه مسلم].

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٧٢.

فإذا فشلت محاولة الزوج في الموعظة والهجر في المضجع انتقل إلى **المرحلة الثالثة في العلاج وهي: تنبيه أعصابها بالضرب وهي عقوبة مادية:**

قال سبحانه: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾ إن لم ينجح ما فعلتم من القطيعة والهجران، فاضربوهن ضرباً غير مبرح أي: لا شديد ولا شاق. قال الفقهاء: هو ألا يجرحها ولا يكسر عظماً ولا يؤثر شيئاً، ويتجنّب الوجه لأنه جمع المحاسن ويكون مفرقاً على بدنها ولا يوالي به في موضع واحد لئلا يعظم ضرره، ومنهم من قال: ينبغي أن يكون الضرب بمنديل ملفوف أو بيده. وعن ابن عباس أنه ضرب بالسواك ونحوه[1].

هذا وقد نص بعض أصحابنا أن للزوج أن يضرب المرأة على أربع خصال وما هو في معنى الأربع: ترك الزينة والزوج يريدها، وترك الإجابة إذا دعاها لفراشه، وترك الصلاة. وفي رواية: والغسل والخروج من البيت إلا لعذر شرعي، وقيل: له أن يضربها متى أغضبته. فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه، فإذا غضب

---

(١) «تفسير القاسمي».

على واحدة منّا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها[1].

وروى الترمذي في «صحيحه» عن عمرو بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ: فبعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم لا تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئ فرشكم أحداً تكرهون ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون، وألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» [حديث حسن صحيح].

عن عبد الله بن زمعة عن النبي ﷺ قال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها آخر اليوم» [رواه البخاري].

فقوله: «بفاحشة مبينة» يريد لا يدخلن من يكره أزواجهن. وليس المراد بذلك الزنا، فإن ذلك محرم ويلزم عليه الحد.

---

(١) «روح المعاني»، للألوسي.

قال عطاء لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه. وروي أن عمر ﷺ ضرب امرأته فسُئِل في ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يسأل الرجل فيمَ ضرب أهله»[1].

ومع أن ضرب الزوجة عند نشوزها بعد استنفاذ وسائل العلاج السابقة من وعظ وهجر وسيلة مشروعة ومباحة، إلا أن الرسول ﷺ كره ضرب الزوجات ولم يفعله قط وإنما أباحه حين يكون رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه، فهو لا يكون إلا لداع قوي وضرورة ملحة.

فعن أم كلثوم بنت الصديق رضي الله عنهما قالت: كان الرجال نهوا عن ضرب النساء، ثم شكوهن إلى الرسول ﷺ فخلى بينهن وبين ضربهن ثم قال: «ولن يضرب خياركم». وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذئاب قال: قال النبي ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ذئر النساء وساءت أخلاقهن على أزواجهن منذ نهيت عن ضربهن. قال النبي ﷺ: «فاضربوهن» فأتى نساء كثير يشتكين الضرب

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ١٦١.

فقال النبي ﷺ حين أصبح: «لقد أطاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة، كلهن يشكين الضرب، وأيم الله لا تجدون أولئك بخياركم»[1]. فما أشبه هذه الرخصة بالحظر وهذا يجعل الضرب شبيهاً بالوسيلة المعطلة، ينأى عنها خيار المسلمين سعياً للكمال. وقد جاء في تقبيح الضرب والتنفير منه ما رواه عبد الله بن زمعة عن النبي ﷺ قال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» [رواه البخاري].

يقول «صاحب المنار في تفسيره»: يذكر عليه الصلاة والسلام الرجل بأنه إذا كان يعلم من نفسه، أن لا بد له من ذلك الاجتماع الخاص بامرأته، وأنه لا بد من هذه الصلة والوحدة التي تقتضيها الفطرة، فكيف يليق به أن يجعل امرأته وهي كنفسه مهينة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه أو يده؟ حقاً إن الرجل الحيي الكريم ليتجافى به طبعه عن مثل هذا الجفاء، ويأبى عليه أن تطلب منه الاتحاد بمن أنزلها منزلة الإماء، فالحديث أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء[2].

على أن الرخصة التي أجازها الإسلام للزوج في

(١) «السنن الكبرى»، للبيهقي ٧/ ٣٠٢.

(٢) «تفسير المنار» ٢/ ٦٢.

ضرب زوجته لا تتخذ صورة العقوبة أو الجزاء التأديبي عادة وإنما هو رد فعل بسبب ما ترتكبه الزوجة من خطأ في حقه أو إثارته بإصرارها على ما ليس يرضاه منها كأن تعتاد الزوجة رفض كل طلب يطلبه منها زوجها أو تعتاد الخروج بغير إذنه أو علمه أو نحو ذلك[1].

ثم ختمت آية النشوز بقوله عزّ اسمه: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء]. قال الإمام محمد عبده: أي إن أطعنكم بواحدة من هذه الخصال التأديبية لا يتجاوزها إلى غيرها، فابدأوا بما بدأ الله به من الوعظ، فإن لم يفد فليهجر، فإن لم يفد فليضرب، فإن لم يفد هذا أيضاً يلجأ إلى التحكيم.

المرحلة الأخيرة في العلاج: التحكيم:

قال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء]. أرشد ﷻ أهل الخير والإصلاح أن يتداركوا النزاع بين الزوجين قبل تفاقمه واستفحاله الذي قد يؤدي إلى الفراق وهدم

---

(١) «سمو التشريع الإسلامي في معالجة النشوز والشقاق بين الزوجين»، ص٩٧.

كيان الأسرة، وأن يعالجوه بأن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الزوج، ورجلاً مثله من أهل الزوجة، فينظران أيهما المسيء، ويعالجان أسباب الداء ويحاولان تذليل الصعاب والقضاء على مثيراتها، ويوفقان بين رغبات الزوجين ما أمكنهما، ذلك حتى يعودا إلى الألفة وحسن العشرة والوئام.

وقد ذهب أكثر الفقهاء إلى أن بعث الحكمين لا يكون إلا إذا وقع التشاجر بين الزوجين، وجهلت أحوالهما في التشاجر لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء]. وإنما جاز بعث الحكمين إذا ارتفع الزوجان فشكا كل واحد منهما صاحبه، وأشكل المحق من المبطل لأنه إذا لم يشكل المحق من المبطل، فلا وجه لبعث الحكمين[1]. والسؤال الذي يتبادر للذهن لم يكن أحد الحكمين من أهلها والآخر من أهله؟

قال الزمخشري: وإنما كان الحكمان من أهلهما، لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح، وإليهم تسكن نفوس الزوجين ويبرز ما في ضمائرهما من الحب

---

(١) «تفسير الطبري» ٨/٣١٨؛ «بداية المجتهد»، لابن رشد.

والبغض وإرادة الصحبة والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه[1].

دور الحكمين في الإصلاح وواجبهما:

الواجب على الحكمين ألّا يدخرا وسعاً في الإصلاح والتوفيق بين الزوجين، وإزالة ما بينهما من الوحشة والشقاق ومعرفة مصدر الشكوى من كل منهما، وإقناع كل منهما بالحق، فإن لإرادة الحكمين دخلاً في تحقيق الصلح إن صحت إرادتهما، فالتوفيق كائن لا محالة بين الزوجين لقوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾.

ومعنى الإرادة في قوله: ﴿إِن يُرِيدَآ﴾ خلوص نيتهما وصدق عزمهما لإصلاح ما بين الزوجين.

ومعنى قوله: ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ أي: يوقع الله تعالى الموافقة بين الزوجين حتى يعودا إلى الألفة وحسن العشرة والوئام[2].

ونحن إذا تأملنا قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ الآية، نجد أن الآية توقفت عند الإصلاح بين الزوجين، ولم تتطرق إلى شيء آخر غير

---

(١) «المجموع شرح المهذب» ١٥/ ٣٢٩.

(٢) «تفسير المنار» ٥/ ٧٩.

الصلح. وهذا يدل على نهاية العناية من الله تعالى في أحكام نظام الأسرة، فلم يذكر مقابل التوفيق بينهما وهو التفريق عند تعيُّنه، لأنه يبغضه وليشعر النفوس أنه ليس من شأنه أن يقع.

فالآية تدعو الحكمين إلى التوفيق والإصلاح وعدم اللجوء إلى التفريق، إلا إذا تعذّر ذلك. ويتوقف الإصلاح على صدق النية والرغبة الصادقة من الحكمين.

روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه بعث حكمين للتوفيق بين زوجين وقالا: إنهما عجزا عن الوفاق فغضب وقال: كذبتما بل لم تكن لكما إرادة صادقة في الإصلاح، ولو كانت لكما تلك الإرادة لبارك الله سعيكما، فإن الله سبحانه يقول: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾ فخجل الرجلان وأعادا سعيهما بإرادة صادقة وعزيمة قوية، فألقى الله سبحانه ما شاء من الوفاق بين الزوجين، ونجح الحكمان في استرجاع الود ومحو الشقاق بينهما. فعلى الحكمين أن يبذلا جهدهما ويسعيا في إصلاح ذات البين واستنفاذ كل وسيلة ممكنة بسبيل التوفيق، إبقاءً على الرابطة الزوجية التي عظم الله ورسوله شأنها، وأن يقفا كل من الآخر على الحياد وأن يذكرا الزوجين بما كان بينهما من فضل وإفضاء وارتباط وثيق، ويدعوهما إلى

التغلب على الموانع التي تعوق سيرهما في طريق الخير والصلح[1].

قال ابن العربي: وإنما يسيران بإذن الله ويخلصان النية لوجه الله، وينظران فيما عند الزوجين بالتثبيت، فإن رأيا للجمع وجهاً جمعا وإن وجداهما قد أنابا تركاهما[2].

وكان علي بن أبي طالب ﷺ وكرّم الله وجهه يبعث حكماً من أهل الزوج وحكماً من أهل الزوجة، فيقول الحكم من أهلها للزوج: ماذا تنقم من زوجتك؟ فيعدد الزوج جميع مآخذه عليها ثم يقول له: إذا نزعت عما تكره إلى ما تحب، هل تتقي الله في معاشرتها وإعطائها كل ما يحق لها عليك من النفقة والكسوة؟ فإذا قال: نعم، قال الحكم من أهله للزوجة: الحل هو أن تقبل ما قال الحكم الأول للزوج ويجمعان بينهما ليتم الوفاق[3].

المشكلة الثالثة: عمل الزوجة خارج البيت:

لقد شاءت إرادة الله جل في علاه أن يخلق من كل شيء زوجين لتستقيم الحياة وتتم عمارة الكون على النحو

---

(١) «سمو التشريع الإسلامي في علاج النشوز والشقاق بين الزوجين»، ص١٢٣.

(٢) «أحكام القرآن»، لابن العربي ١/ ٤٢٤.

(٣) «بناء البيت السعيد»، د. عدنان يالجن، ص٢١٩.

الذي أراده سبحانه. يقول جلّ شأنه: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات].

فخلق الله الرجل والمرأة ورتّب عليهما الحياة من حيث أنهما المخلوق الذي جعله الله في الأرض لعبادته وسخّر لصالحه كثيراً من المخلوقين.

وأودع سبحانه في الرجل من الخصائص الجسمية والنفسية ما يستطيع به النهوض بتبعاته، وخلق المرأة وأودعها من الخصائص الجسمية والنفسية ما تستطيع به القيام بتبعاتها.

ودور المرأة في الحياة هو دور الأمومة وتربية النشء، وهي في هذا الدور تمد المجتمع بكل عناصر البناء والتقدم، وبقدر إخلاصها في هذه المهمة يكون المردود خيراً وبركة على الأمة بأسرها.

ولقد مشت سنّة الله لدى ذوي الفطر السليمة على أن يكون عمل المرأة داخل بيتها. فمنذ أقدم العصور والمكان الطبيعي للمرأة هو مملكة البيت، تنجب الأولاد، وترعى الزوج، وتعد اللبنات الصالحة للأمة، فهي صاحبة فضل على المجتمع كله، إذ تمده بلبناته وتوفر لزوجها وأولادها كل أسباب النجاح، فلا يحرز أبناء الوطن تقدماً علمياً أو نهضة شاملة، ولا يحققون

مجداً وسؤدداً إلا وللمرأة أكبر الفضل فيه، فهي أم أو زوجة العالم والطبيب والمهندس والمدرس والزارع والصانع وأمهات الأمهات اللاتي يرضعن أبناءهن العزة والكرامة ويربينهن على التضحية.

ولذلك يسمي الله عزّ وجل بيت المرأة القرار، أي: المكان الطبيعي الذي تستقر فيه المرأة ويهدأ بالها، فتسعد وتُسعد غيرها حيث يقول سبحانه لنساء النبي ولغيرهن من باب أولى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وكانت المرأة إلى جانب ذلك تشارك زوجها في زراعته وبعض صناعته، وغير ذلك من الأعمال التي لا تخرجها عما فطرت عليه من أنوثة وحياء ولا تلهيها عن وظيفتها الكبرى[١].

ولقد وضع العلماء شروطاً لعمل المرأة خارج البيت:

١ ـ ألا تتعارض مع الوظيفة الحقيقية للمرأة وهي الزوجية والأمومة.

٢ ـ ألا تؤدي إلى الاختلاط.

٣ ـ أن تخرج لعملها كإنسانة لا كأنثى، فتحرص على الاحتشام والحجاب.

---

(١) «العلاقات الأسرية»، د. محمد عبد السلام أبو النيل ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.

أما المجالات التي يمكن أن تعمل فيها المرأة فهي:

١ ـ تطبيب النساء.

٢ ـ تعليم البنات.

٣ ـ الإشراف الاجتماعي.

والحكمة من قصر أعمال المرأة على المجالات السابقة للآتي:

١ ـ ملائمة طبيعتها كأنثى خلقت للحمل والولادة وذات طاقات معينة.

٢ ـ التفرغ للمهمة العظمى لتمدنا بلبنات المجتمع وصانعي الحضارات.

٣ ـ تحقيق الاستقرار الأسري، فإن عمل المرأة في كل الميادين يجعلها تختلط بغير زوجها، ويجعل زوجها يختلط بغيرها. وغالباً ما يجد الواحد منهما في زميله من الملاطفة والموادعة ما لا يجده في زوجه، فينهار ما بين الزوجين والشواهد على ذلك كثيرة.

٤ ـ حمل المرأة على الزواج والإنجاب، وذلك لأن عملها المطلق يشجعها على تأخير الزواج والإنجاب أو العزوف عنه بالكلية، وحتى المتزوجة تعمد إلى عدم الإنجاب أو التقليل منه، وفي هذا خطر كبير على المجتمع، كما أنه يفقد المرأة خاصيتها.

ويمكننا إجمال الأضرار التي تنجم عن عمل المرأة في كل ميدان بما يأتي:

١ ـ التفكك الأسري والانحلال الأخلاقي.

٢ ـ شقاء المرأة وتعاستها.

٣ ـ ضياع الأولاد وفقدان النشء الصالح.

٤ ـ مزاحمة الرجال وتعطيلهم.

العـلاج:

والعلاج لهذه المشكلة يكمن في حلّين اثنين لا ثالث لهما:

الحل الأول: كما ذكرنا آنفاً، أن البيت هو المملكة الوحيدة للمرأة، وعندما خرجت من بيتها للعمل وأهملت مملكتها ضاع أبناؤها، وفي كثير من الأحيان تفقد زوجها كما ذكرنا.

والآن في فرنسا ينادون بعودة المرأة إلى بيتها، واعتبروا أن التفكك الذي تعيشه الأسر الفرنسية راجع إلى خروج المرأة للعمل.

الحل الثاني: إذا كانت في حاجة ماسّة للعمل، فعليها أن تعمل في المجالات التي ذكرناها وهي: تطبيب النساء أو تعليم البنات أو الإشراف الاجتماعي، كما يمكن للمرأة أن تشارك زوجها في زراعته، ولتعلم كل

امرأة تريد أن يكون بيتها سعيداً أن كل عمل يعمله الرجال يعدله حسن رعاية المرأة لزوجها. للحديث التالي: عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن قعود عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: السلام عليك يا رسول الله! أنا وافدة النساء إليك، الله رب الرجال ورب النساء، وآدم أبو الرجال وأبو النساء، بعثك الله إلى الرجال وإلى النساء، والرجال إذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فأحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله. وإذا خرجوا لهم من الأجر ما قد علموا ونحن نخدمهم ونجلس في بيوتنا، فما لنا من الأجر؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «أقرئي النساء عني السلام وقولي لهن: إن طاعة الزوج تعدل ما هناك، وقليل منكن من تفعله» [رجاله ثقات][1].

المشكلة الرابعة: تأخر إنجاب الزوجة:

تختلف النساء في مسألة الإنجاب، فمنهن من تبقى لشهور ثم تحمل، ومنهن من تبقى لسنوات قد تقل أو تكثر دون دخل للمرأة في هذا الأمر، تتألم فيها المرأة أكثر من الرجل وتتجرّع فيها غصات كثيرة تفيض معها العبرات، وهي ترى قريناتها يحملن أطفالهن ويلاعبنهم

---

(١) كتاب «العيال» ١/١١٧، حديث رقم (٥٣٠).

وهي وحيدة مع زوجها في ذلك المنزل، فلا ضحكة طفل تجلجل ولا لعبة ملقاة.

وهذا عدا نظرات الناس التي تعدّها كالسهام تخرق جنانها، فهم ينظرون إليها على أنها امرأة عقيم لا تنجب، أو نظرات الأسف لحالها تسمع معها همسات النساء من حولها وإذا دخلت، فهذا الزوج لا يكاد يخفي شوقه وولعه بالأطفال، فتارة بالتلميح والكثير بالتصريح، هذا غير تهديد بعضهم بالزواج بأخرى ولسان حاله يقول لها: (أنت عيبك عدم الإنجاب!!!).

العلاج:

فعلى المرأة في هذه الحال أن تصبر وتحتسب الأجر والمثوبة من الله عز وجل، فهذا ابتلاء من الله لها، وعليها أن لا تكف عن الدعاء بسؤال الله الذرية: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء].

وأن تصبّر زوجها، فمن يتصبّر يصبّره الله وتذكّره بحكم الله التي قد تخفى عليه بهذا الأمر، فحالها الآن أفضل من أن يأتيهم ابن عاق يُعيقهما عن فعل الطاعات والقرب كما قال الله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الكهف]،

أو أن يرزقهما بذرية تتعلق قلوبهما بها ثم تموت فيفجعان، وقد لا يصبران عند المصيبة، أو قد يولد لهما مولود مريض لا يرجى شفاؤه فيتمنيان لو أن الله لم يرزقهما.

أما الزوج فعليه أن يتقي الله في هذه المرأة التي لا حول لها ولا قوة، فهذا أمر خارج عن إرادتها وهو قدر الله لها، وعليه أن ينظر إلى خصالها الأخرى الطيبة، وأن لا يبخسها حقها، وليعلم علم اليقين ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح] فكاتب هذه السطور قد تأخر إنجاب زوجته أكثر من عامين ونصف، ومع ذلك صبر وكان مؤمناً تمام الإيمان بقول الله عزّ وجل: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى] وبعد المدة المذكورة رزقه الله بثلاثة أطفال فحمد الله على ذلك.

ولقد تعرفت على رجل كان يسكن في البناية التي أسكن فيها، وظل مع زوجته أكثر من تسع سنوات لم تنجب خلالها، وكم طلبت منه أن يتزوج عليها، إلا أنه قال لها: علينا بالصبر. ولم يكفّا عن الدعاء ليل نهار أن يرزقهم الله بالذرية الصالحة، فاستجاب الله لدعائهما

ورزقهما بمولود. وهناك حالات كثيرة تحدث شبيهة بالحالتين السابقتين.

وإن لم يصبر الزوج على هذا الوضع وأقدم على الزواج بأخرى، فعليه أن لا يظلم زوجته الأولى وأن يديم مودتها ويعدل بينهما، وعلى الزوجة في هذا الحال ألا تغضب وتقدر محبته ورغبته بالذرية وتذكّره على الدوام بالعدل ونصوص الرحمة.

المشكلة الخامسة: الرغبة في تتابع الإنجاب:

قد تتضرر بعض النساء من تتابع الإنجاب، وذلك أن المرأة تنجب الطفل الأول، فما تلبث أن تحمل بالطفل الثاني، وما إن تنجب حتى تحمل بالطفل الثالث مباشرة، وهكذا دون الإذن لها باستخدام أي مانع لتأخير الحمل حتى تسترد المرأة عافيتها من آثار الولادة. والذي يحدث أن بعض هؤلاء النسوة يشعرن بالإرهاق والتعب عند أدنى مجهود، وذلك بالإضافة إلى آلام الظهر وذلك من جرّاء تتابع الإنجاب، هذا غير العناية بالأطفال والسهر عليهم، فتبدأ المرأة بالتذمُّر والشكوى من هذا الأمر، والمطالبة بتباعد فترات الإنجاب حتى تسترد عافيتها وتثير هذا الموضوع من آن لآخر، وقد يتداخل أهل الزوجين بنصح الزوج لإمهال المرأة مما يغضب

الزوج ويحمله على اتهامها بنقل أمورهما الخاصة للآخرين.

العلاج:

ولمعالجة هذا الأمر، ينبغي للزوج أن يعلم أن الصحابة كانوا يتخذون الأسباب ويعزلون عن زوجاتهم. قال جابر: (كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل) [رواه البخاري]. وجاء ﷺ رجل يوماً يسأله ويقول: إن لي جارية وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل، فقال: «اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها» [رواه البخاري].

وقال آخرون: يوماً أصبنا سبياً، فكنا نعزل، فسألنا رسول الله ﷺ فقال: «أو إنكم تفعلون؟!» قالها ثلاثاً: «ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة» [رواه البخاري].

قال الترمذي: (وقد رخّص قوم من أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ في العزل) [حديث صحيح رواه الترمذي]. وإذا كان العزل هو الوسيلة الوحيدة التي كان يعرفها المسلمون في عهد النبي ﷺ ولم يمنع ممارستها، فقد ظهرت في عصرنا وسائل أخرى يقرر الأطباء أنها أقل إيذاءً للرجل والمرأة من العزل، وأنها تؤدي إلى عدم

الحمل، فلا شك في أن حكم العزل ينسحب على هذه الوسائل أيضاً، ولقد قرر المؤتمر الإسلامي الثاني المنعقد في القاهرة سنة ١٩٦٥ الذي كان يضم العلماء المسلمين من العالم الإسلامي فيما يتعلق بتنظيم النسل: (إن الإسلام رغّب في زيادة النسل، فللزوجين أن يتصرفا لما تقتضيه الضرورة، وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه، لكن لا يصح شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه)[١]. وسوف نذكر فيما يلي الحالات التي تجيز تباعد فترات الحمل.

يباح في الإسلام تباعد فترات الحمل بالعزل أو بغير في مثل ما يأتي:

١ ـ عند تتابع الحمل والولادة على نحو أرهق الأم وجعلها عاجزة عن خدمة أولادها وسبّب لها من المشاق ما لا تحمله، وليس في مقدور الزوج أن يحضر من يساعدها في التربية، فعندئذ يحق لها أن تباعد بين فترات الحمل حتى لا نشق عليها ولا تشق هي على نفسها، فإن الله ﷻ يريد بعباده اليسر حيث يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ

(١) «بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام»، مقداد يالجن، ص٢٤٣.

بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ولم يجعل في ديننا مشكلة حيث يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

٢ ـ إذا خشيت المرأة أن يؤدي الحمل إلى جفاف الحليب الذي ترضع به طفلاً لم يبلغ الفطام بعد، وقد تعينت هي مرضعة له، إما لعدم وجود مرضعة وإما لعدم قبوله ثدي غيرها.

٣ ـ إذا كان الأبوان بدار يخشيان فيها على المولود من وباء أو عدو، فلهما تأخير الحمل حتى يأمنا عليه.

٤ ـ إذا كان بالأبوين أحدهما أو كليهما مرض معدٍ يخشى على المولود، فلهما تأخير الحمل حتى يتم الشفاء[1].

المشكلة السادسة: ولادة البنات دون البنين:

إن ولادة البنات دون البنين ليست مشكلة من وجهة نظري، ولكن قد تكون مشكلة من قِبَل البعض الآخر الذي يرى أنه لا بد وأن تلد امرأته ذكراً، وبعض الجهال يتزوج على زوجته كي تلد له ذكراً، ولقد شاهدت ذلك بعيني ولكن الله القادر وهبه بنات من المرأة الثانية ووهب الذكر من الزوجة الأولى بعدما تزوج عليها. فالبنات هبة

(١) انظر: «قرارات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف».

من الله تعالى، هبة مقدمة على هبة الذكور. قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى].

والإنسان الحكيم هو الذي يتقبّل ما وهبه الله من البنات أو الذكور بقبول حسن، فلا يبالغ في الفرح بالولد ولا يكون بارداً (سلبياً) حين يرزقه الله ببنت، فهل يعلم أحد أين سيكون الخير أو الشر. يقول سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة]. فقد يكون إنجاب البنات أفضل لهؤلاء من أن يأتيهم ابن عاق فاجر يعيقهم عن فعل الطاعات والقُرَبْ كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الكهف]. ويذكر التاريخ أن أميراً عربياً تزوج من امرأة وهو يطمع أن تلد له غلاماً فولدت له بنتاً، فهجر منزلها وصار يأوي إلى غير بيتها فمر بخبائها بعد عام وإذا هي ترقص بنتها وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا

يظل في البيت الذي يلينا

غـضـبـان ألا نـلـد الـبـنـيـن

تـالله مـا ذلـك فـي أيـديـنـا

وإنـمـا نـأخـذ مـا أعـطـيـنـا

ونـحـن كـالأرض لـزارعـيـنـا

نـنـبـت مـا قـد زرعـوه فـيـهـا

فغدا الرجل حتى دخل البيت فقبّل رأس امرأته وابنتها[1]. والله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦﴾ [النجم] فبيّن سبحانه أن الرجل هو المسؤول عن إنجاب الذكور أو الإناث وليس المرأة، فعلامَ إذن عدم الرضا بالبنات!!.

المشكلة السابعة: غياب الزوج عن زوجته:

إذا سافر الزوج بعيداً عن زوجته، فإن لم يكن له عذر مانع من الرجوع فإن الإمام أحمد ذهب إلى توقيته بستة أشهر وسُئل: كم يغيب الرجل عن زوجته؟ قال: ستة أشهر يكتب إليه، فإن أبى أن يرجع فرّق القاضي بينهما.

فيجب أن لا يغيب الزوج عن زوجته مدة طويلة: لما في ذلك من حرج شديد لها، ولعل الرواية التاريخية

---

(١) «البيان والتبيين» ١/١٠٨.

توضح لنا ذلك فيما رواه سعيد بن منصور والبيهقي في «السنن» عن زيد بن أسلم قال: بينما عمر بن الخطاب يحرس المدينة، فمر بامرأة في بيتها وإذ بها تتغنّى بهذ الأبيات والناس نيام:

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه
ولم يكُ عندي من حبيب ألاعب
فوالله لولا الله والعار بعده
لحرك من هذا السرير جوانب
ولكن ربي والحياء يكفني
وأكرم بعلي أن توطأ مراكب

ثم تنفّست الصعداء وقالت: هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي عني، فسأل عنها عمر فقيل له: هذه فلانة زوجها غائب في سبيل الله، فأرسل إليه امرأة تكون معها، ثم كتب عمر إلى عامله حيث يرابط ذلك الرجل بإعادته إلى أهله، ثم دخل على حفصة فقال: يا بنية كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت سبحان الله مثلك يسأل مثلي عن هذا؟ فقال: لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك؟ قالت: خمسة أشهر ستة أشهر، فوقّت للناس في مغازيهم ستة أشهر، يسيرو شهراً ويقيمون أربعة أشهر ويسيرون راجعين شهراً.

ولكن إذا اتفق الزوجان على غياب الزوج عن زوجته لمدة عام بسبب سعيه لطلب الرزق، كأن يكون مسافراً لإحدى الدول كما هو حاصل الآن في كثير من الدول، فلا بأس من ذلك ما دامت الزوجة قد وافقت على ذلك. أما إذا رأت أنه لا بد أن يعود إليها قبل هذه المدة، فلا يجوز له أن يتغيّب أكثر من ستة أشهر كما قال بذلك الإمام أحمد وقد ذكرناه آنفاً.

المشكلة الثامنة: تعدُّد الزوجات:

في الحقيقة إن تعدُّد الزوجات ليس مشكلة في حد ذاتها، ولكن المشكلة تكمن فيما يترتب على هذا التعدد، والإسلام صيدليته شاملة شافية كافية فيها لكل داء دواء.

لقد رأى الإسلام بإباحة التعدد أن تظل الزوجة الأولى عش الزوجية، هانئة في رعاية زوجها ذلك أهدى سبيلاً. ففي إباحة التعدد وفاء لها حتى لا تصير شريدة طريدة. أضف إلى ذلك ما يقع من حروب واستشهاد للرجال في الميادين، فماذا يكون الحل لو كثرت الأرامل بعد موت الرجال، لا حل إلا بإباحة التعدد لتعيش في بيت الزوجية النساء اللاتي فقدن الأزواج، وقد تستدعي حال الرجل حتى يعيش عفيفاً أن يتزوج على امرأته لسد حاجته وتكسبه العفّة والطهر في بيت آمن مستقر وحياة

هادئة آمنة، هل من الخير أن تكون تلك المرأة خليلة أم حليلة؟!!.

إن الإسلام يقيم الحياة على أساس الطهر والنقاء، بعيداً عن العبث والانحراف. يقول تباركت أسماؤه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة].

وسوف نعرض فيما يأتي لأهم الأسباب التي تستدعي التعدد:

١ ـ طلب الذرية: وذلك إذا كانت زوجته عاقراً، فزواجه من أخرى خير لزوجته الأولى من الطلاق، ومن بقائه عقيماً مدى الحياة محروماً من الذرية.

٢ ـ إذا أصيبت المرأة بمرض لا تستطيع معه تلبية حاجات الزوج.

٣ ـ بعض الرجال لا تمكنهم طبعائهم ولا تكوين أجسامهم من البقاء على واحدة، فيخاف إن حرموا من تحصين أنفسهم بغير واحدة أن ينصرفوا إلى ما هو أدهى وأمرّ.

٤ ـ الرغبة في تحصين نساء المسلمين وذلك في حالة ما بعد الحرب، فقد يهبط عدد الرجال عن النساء

هبوطاً مفزعاً قد يصل النسبة في بعض الأحيان من ١ إلى ١٠، فإذا اكتفى كل رجل بواحدة فقط من هؤلاء العشر فماذا تصنع الباقيات؟

الحل يكمن في العدالة بين الزوجتين.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقّه مائل» [رواه الترمذي].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا» [رواه مسلم].

إن من الإحسان في المعاملة عند تعدُّد الزوجات أن يعدل بين زوجاته ولا يفضِّل واحدة منهن على غيرها، لأن الله تعالى أمر بالاقتصار على زوجة واحدة عند الخوف من الجور في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. وهذا يقتضي الأمر بالعدل بين الزوجات عند التعدد.

فإن لم يعدل استحق على عمله هذا أن يعد في الدنيا من الممقوتين ويحشر في الآخرة مع الظالمين.

والعدل الذي يطالب به الزوج في هذه الحالة هو

التسوية بين الزوجات في كل ما يستطيعه ويدخل تحت قدرته من الحقوق، كالتسوية في النفقة وإحسان المعاملة ولطف العشرة من غير ميل إلى إحداهن ومضارة ما سواها. أما المساواة بينهن في المحبة والميل القلبي، فليست بمطلوبة لأن ذلك ليس في مقدور الإنسان فلا يطالب به شرعاً.

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» [رواه أبو داود].

قال أبو داود: يعني القلب يقصد بذلك حبه لعائشة أكثر من غيرها من سائر زوجاته الكريمات. ومن العدل الذي يستطيعه الزوج أن يسوّي بين زوجاته في المبيت والقسم في المبيت، لا فرق فيه بين البكر والثيب، والجديدة والقديمة، والمسلمة والكتابية، وصاحبة العذر وغيرها.

والقسم في المبيت واجب في حال الصحة والمرض، فلو مرض الزوج وأراد أن يقيم بين إحداهن فلا يجوز له ذلك إلا إذا رضي به سائر أزواجه.

ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: (لما ثقل رسول الله ﷺ استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له).

فإذا أراد الزوج السفر أقرع بينهن فيسافر بمن خرجت قرعتها، لما فيها من تطييب النفوس وصفاء القلوب، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ عند إرادة السفر. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومهاً وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ) [رواه البخاري].

هذا هو حل التعدُّد.

المشكلة التاسعة: تفضيل بعض الأولاد على بعض:

إن من العدل وجوب التسوية بين الأولاد في العطية والوصية والمعاملة، وهذا من واجب الآباء وهذه النقطة مهمة، ذلك أن التفرقة في المعاملة تولد الحقد والحسد فيما بينهم، وتزيل المحبة فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين الآباء من جهة أخرى، إلى جانب هذا وذاك تكون هذه التفرقة سبباً لنشأة بعض الأمراض النفسية، ولهذا قال ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» [رواه مسلم].

وكان السلف الصالح يراعون العدل بين الأولاد حتى في القبل.

وفي «الصحيحين» عن النعمان بن بشير: أن أباه نحله بعض ماله فقالت أمه عمرة بنت روحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، فانطلق بي أبي إلى النبي ﷺ يشهده على صدقته فقال له رسول الله ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» [رواه مسلم].

فعلى الآباء أن يسووا بين أبنائهم في المطعم والملبس والعطف والحنان وسائر الحقوق، وترغيباً في ذلك قال الرسول ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ـ قال: يعني الذكور أدخله الله الجنة» [رواه أبو داود].

فإن كثيراً من الناس ما يزالون يؤثرون أبناءهم على بناتهم بالمال ليحرمهن من حقهن، كما كان الأمر في الجاهلية الأولى، وهذا يعد من الظلم ومن الحيف والجور.

عن عمرو بن خارجة قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، ولا وصية لوارث» [رواه النسائي]. ولما قسّم الله الميراث وبيّن ما يستحق كل واحد من الورثة قال بعد تقسيمه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء]. فلقد توعّد سبحانه من يفعل ذلك بألوان من العذاب والعقوبة في الآخرة. ولا أدري كيف تزيّن لهم أنفسهم ترجيح البنين على البنات؟ ألا يعلمون أن كلا العنصرين انفصلا من صلبه، وأحدهما صنو الآخر؟ وكيف سوّلت لأحدهم نفسه أن يجعل أحد فلذتي كبده بمرأى عينه مسروراً سعيداً، والآخر كئيباً محزوناً من غير ذنب، تذرف عيناه دماً وينفجر من الحرقة قلبه؟ أليس الذي خلق الذكر خلق الأنثى؟ وأليس كلاهما من ماء واحد؟ فمن أين أتى الترجيح والإيثار؟ إن الحب القلبي قد يحصل لأحدهم أكثر من الآخر، بسبب أو بغير سبب، فهذا عمل القلب ولا طاقة لنا به، وهذا ليس بقاصر على الأبناء بل يشمل الزوجات والأقارب، إلا أن عمل القلب شيء والمعاملة الخارجية شيء آخر، فنحن أُمرنا بالعدالة في معاملاتنا لمن نحب ولمن نكره، ولا جناح في الحب ولكن الجناح في المعاملة بمقتضى الحب.

وقد كان الرسول ﷺ يحب عائشة أكثر من غيرها من زوجاته، ومع ذلك كان يعدل في القسم والإطعام والنفقة وغيرها من الحقوق الزوجية، وكان يقول: «اللهم

هذا قسمي في ما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» [رواه أحمد وأهل السنن عن عائشة]. يعني القلب ودواعيه.

ولينظر الآباء بعين البصيرة إلى قصة يوسف مع أخوته، إنهم بمجرد علمهم أن أباهم يحبه هو وأخاه بنيامين أكثر منهم عزموا على قتله ثم عدلوا عن ذلك بإلقائه في الجب. قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ [يوسف]. فالإيثار وعدم العدالة في المعاملة بالإضافة إلى إزالته المحبة من بين الأفراد والسعادة من البيت، فإنه يخلق جواً مشحوناً وظلماً قاتماً في سماء البيت، ونتيجة لذلك تتحول الحياة فيه إلى جحيم لا يُطاق. إذن فالحل يكمن في العدل بين الأولاد جميعاً سواء في المعاملة أو العطية أو غير ذلك، حتى تعود السعادة إلى الأسرة المسلمة. وما أحسن ما قالته فاطمة الأنمارية عندما سئلت: أيُّ ولدك أحبُّ إليك؟ فأجابت: هم كالحلقة المفرغة لا يُدْري أين طرفاها؟ هذه هي الأم التي تمثل الأمومة المثالية العادلة بين أبنائها، وهذه هي المعاملة

التي يرضى عنها الصغير والكبير، والتي أمر بها الإسلام وقد أمر بذلك لتزداد المحبة والترابط بين أفراد البيت جميعاً، وليعيشوا في عشهم متحابين متكاتفين متعلقين بعضهم ببعض كتعلق المحب بالمحبوبة[1].

المشكلة العاشرة: المشاكل مع الجيران:

لقد أوصت السنّة النبوية بالجار خيراً حتى أن جبريل كان يوصي بالجار. فعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [رواه مسلم]. وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [رواه أحمد].

ويمكن إجمال المشاكل التي تحدث مع الجيران في الآتي:

١ ـ إفراط الزوجة في الجلوس عند جيرانها وإهمال بيتها وأولادها وزوجها.

٢ ـ افتعال الزوجة المشاكل والمشاجرات مع جيرانها لأتفه الأسباب.

---

(١) «بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام»، ص١٥٣.

٣ ـ تتبُّع عورات الجيران وإفشاء أسرارهم.

٤ ـ الإساءة إلى الجار بالقول أو الفعل.

والحل يكمن في:

على الزوجة أن لا تفرط في علاقتها مع جارتها، فالتوسط في كل شيء مقبول. ولتعلم الزوجة أن زوجها وأولادها وبيتها لهم عليها حقوق، فلتؤدها وتعمل قدر جهدها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع جارتها.

أيضاً من الواجب عليهم ستر عورات الجيران وعدم إفشاء أسرارهم وغض الطرف عن محارمهم، فتلك شيمة الكرام ولقد فطن لذلك عنترة بن شداد العبسي الشاعر الجاهلي الذي لم يتأدب بأدب الإسلام حيث قال:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

ولقد حذر الرسول ﷺ تحذيراً شديداً لمن لا يصون حليلة جاره أو ابنته أو أخته، لقد عدّ ذلك من أكبر الذنوب وقرنه بالشرك والقتل. ففي الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أيُّ الذنب عند الله أكبر؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك؟» قلت: ثم أيّ؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أيّ؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول

رسـول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان] [رواه البخاري].

ولتعلم الزوجة أن إيذاءها لجارتها بلسانها يحرمها من دخول الجنة، فلقد سُئِل رسول الله ﷺ عن امرأة تصوم وتصلي وتحج إلا أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال ﷺ: «هي من أهل النار» [حديث صحيح].

كما ينبغي كفّ الأذى عن الجار وعدم الإساءة إليه بالقول أو الفعل، لأن رسول الله ﷺ اعتبر من يفعل ذلك بعيداً عن الإيمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «الجار الذي لا يأمن جاره بوائقه» قالوا: يا رسول الله وما بوائقه؟ قال: «شره» [رواه أحمد].

الفصل الرابع عشر

الاستئذان

يقول تباركت أسماؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُو
لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰ
مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِ
بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِ
جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّ
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النور]. في هذ
الآية الكريمة تعليم الاستئذان داخل البيوت وهو للخد
والأطفال لئلا يطّلعوا على العورات. فقد يكون الإنسا
في حالة لا يحب أن يدخل عليه فيها أحد، لذلك فق
أوجب الإسلام الاستئذان حتى على الخدم والصغار
وفي ثلاثة أوقات وسماها عورات؛ لانكشاف العورا
فيها، وفي هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخد
وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم حت
لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب رفي
يغفله الكثيرون في حياتهم، مستهينين بآثاره النفس

والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم على عورات السادة وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر علماء النفس أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في مستقبل حياتهم، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وخلقية، وتوجد فيهم عقداً يصعب شفاؤهم منها، ونحن حينما نتحدث عن سعادة الأسرة المسلمة كان علينا أن نفرد لهذا الموضوع فصلاً نظراً لأهميته وخطورته. وهذا الأدب الإسلامي الرفيع لا نجده عند غير المسلمين، ويكفي الإسلام فخراً أنه دين الأدب، والتستر، دين الحشمة والوقار، فهو يأمر بغض الأبصار عن عورات الناس ويخصص هذه الأوقات الثلاثة دون غيرها لأنها مظنّة انكشاف العورات، ولا يجعل استئذان الخدم والصغار في كل حين منعاً للحرج، فهم كثيروا الدخول والخروج على أهليهم بحكم صغر سنهم أو قيامهم بالخدمة، وبذلك يجمع بين الحرص على ستر العورات وإزالة الحرج والمشقة عن الناس. والحكمة من هذا كله عدم تفتيح ذهن الصغار وعدم إثارة الكبار حتى ينشأ الجميع على العفّة والنزاهة وكمال الأدب، وبذلك تستقر الأسرة وينعم الناس.

الفصل الخامس عشر

تربية الأولاد على الفضيلة

مما لا شك فيه أن الأبناء هم فلذة الأكباد وثمرة الزواج، فكان ولا بد من تربيتهم على الفضيلة وتنشئتهم تنشئة إسلامية بعيدة عن الانحرافات النفسية والخلقية.

يقول الغزالي: (والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عود الخير وعلمه، نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وصيانته بأن يؤدّبه ويهذّبه ويعلّمه محاسن الأخلاق).

وما أحسن ما قال بعضهم:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا
على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن
يعوده التدين أقربوه

وأولى الفضائل التي يجب أن يربي الأبوان عليها أبناءهما هي:

توحيد الله وعدم الشرك به:

إن التربية الحقّة إنما تكون في تلقين الطفل أعمال الخير وإرشاده إلى الصراط المستقيم وتعليمه الأخلاق الطيبة، وذلك كله لا يمكن أن يتحقق إلا بالإيمان بالله وعدم الشرك به تعالى، وهذا وارد في وصية لقمان لابنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

إقامة الصلاة:

قال سبحانه على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع». ويقاس على الصلاة الترويض على بعض أيام الصوم إذا كان الولد يطيقه، وتعويده الحج إذا كان الأب يستطيعه[1].

تعريفه أول ما يعقل أحكام الحلال والحرام:

لما أخرج ابن جرير وابن المنذر من حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: (اعملوا بطاعة الله، واتقوا

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله علوان ٢/١٦٣.

معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فذلك وقاية لهم ولكم من النار).

حب رسول الله ﷺ وحب آل بيته وتلاوة القرآن الكريم:

روى الطبراني عن عليّ كرّم الله وجهه أن النبي ﷺ قال: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن. فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه».

ويتفرع عن هذا: تعليمهم مغازي رسول الله ﷺ وسير الصحابة الكرام وشخصيات القادة العظماء والمعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي. فهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: كنّا نعلم أولادنا مغازي الرسول ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم. وأوصى الإمام الغزالي في «إحيائه» بتعليم الطفل القرآن الكريم، وأحاديث الأخبار وحكيات الأبرار، ثم بعض الأحكام الدينية[1].

وينبغي أن يعلم الآباء أن هذه تربية تؤتي أكلها في الصغر. وما أحسن ما قال بعضهم:

قد ينفع الأدب الأولاد في صغر
وليس ينفعهم من بعده أدب

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله علوان ٢/ ١٦٣.

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت

ولا تلين ولو لينتها الخُشُب

غرس التواضع في نفوسهم:

قال سبحانه على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان].

وهكذا ينشأ الفتى المسلم على عادات طيبة وأخلاقيات مثالية ثابتة ومفاهيم رائعة وقِيَم صالحة لكل زمان ومكان[١].

تعويدهم على الثقة بالنفس:

مرّ سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ على صبية يلعبون وكان بينهم عبد الله بن الزبير فهرب الأطفال إلا عبد الله بن الزبير، فقال له الفاروق عمر: لِمَ لم تهرب؟ فقال زيد: لم يكن الطريق ضيقاً لأوسعه لك، ولم أكن أخافك لأهرب منك[٢]. وينبغي أن يعلم الوالدان أن أساليب تربية أولادهم متعددة، منها الموعظة ومنها القدوة ومنها الجزاء.

---

(١) «نحو تربية إسلامية»، د. حسن الشرقاوي، ص٩٤.

(٢) «أدب الدين والدنيا»، للماوردي.

١ ـ الموعظة:

لقد اهتم القرآن الكريم بشأن الموعظة لما لها من تأثير في نفس الإنسان ووجدانه. فقد سجّل لنا موعظة لقمان الحكيم لابنه وهي موعظة شاملة جامعة، ينبغي للآباء أن ينصحوا بها أبناءهم لما فيها من الخير العميم.

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]. ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

ولقد اهتمت السنّة النبوية بالموعظة كما اهتم بها القرآن الكريم، فقد كان النبي ﷺ يعظ الغلمان ويوجههم.

روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام! سمّ الله وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد».

٢ ـ القدوة:

وهي من أهم أساليب التربية، فينبغي أن يكون الآباء قدوة حسنة لأبنائهم، لأن الأبناء مولعون بتقليد الآباء والأمهات، فإذا تحلّى الأبوان بالفضائل وتخليا عن الرذائل نهج الأبناء هذا النهج الحميد، وإذا لم يستقم سلوك أحد الوالدين أو كليهما، كان لذلك أثره السيئ على نفوس الأبناء.

قال الشاعر:

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً

فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

فينبغي على الوالدين أن يظهرا أمام أولادهما في أحسن صورة، وإن كانت هناك عادات سيئة لديهما، فليستترا وليخفياها عن الأولاد حتى لا يستشري الداء ويعم البلاء ريثما يتخلصان من العادات[١].

وواجب الآباء هنا يتمثل في:

أ ـ مراقبة أبنائهم في اختيار رفاقهم:

لقد اهتمت السنّة النبوية بهذا الأمر لخطورته على

---

(١) «العلاقات الأسرية في الإسلام»، د. محمد عبد السلام أبو النيل، ص٢٨٠.

الفرد والمجتمع. قال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» [رواه الشيخان].

وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن خليله
فكل قرين بالمقارن يقتدي

ودعا الإمام الشافعي لمرافقة الطيبين والابتعاد عن السيئين فقال:

إن الكريم له الكرام بطانة
طابت شمائلهم وطاب العنصر
إن لاح خير قربوه ويسروا
أو لاح شر باعدوه وعسروا
أما اللئيم فحوله أمثاله
قرناء سوء ليس فيهم خير
إن لاح خير باعدوه وعسروا
أو لاح شر قاربوه ويسروا
ولكل كون كائنات مثله
فقبيله من جنسه والمعشر

ب ـ مراقبة المقروء والمسموع والمشاهد:

فواجب الآباء مراقبة أبنائهم فيما يقرؤونه أو يسمعونه أو يشاهدونه، فاقتناء مكتبة إسلامية أفضل من اقتناء المجلات التي فيها إثارة للغرائز والشهوات، واقتناء كمبيوتر للاستفادة منه أفضل ألف مرة من اقتناء التلفاز، واقتناء شرائط فيديو دينية وشرائط تسجيل لعلمائنا الأجلّاء أفضل من الأفلام الماجنة والأغاني الخليعة الهابطة.

فليتقِ الله الآباءُ في أبنائهم وليقدموا لهم المفيد الذي يسمو بأخلاقهم ويهذّب سلوكهم ويرتقي بعواطفهم.

٣ ـ الجزاء:

فالجزاء من أنجع وسائل التربية لأنه يردع النفوس عن الشر ويدفعها إلى الخير، فواجب الآباء أن يثيبوا المحسن من أبنائهم على إحسانه ويكافئوه كي يحملوه بذلك على حميد الخصال وكريم الفعال.

وفي المقابل يعاقبوا المسيء حتى يرتدع، وينبغي أن يكون العقاب في حدود المعقول لأن الغرض منه إنما الإصلاح، وقد أمر الرسول ﷺ الآباء أن يكرروا العقاب إذا لزم الأمر بغية التأديب حيث يقول في وصيته لمعاذ ﷺ: «وأنفق على عيالك من طولك ولا ترفع عنهم عصاك أدباً وخفهم في الله» [رواه أحمد في «مسنده»].

الفصل السادس عشر

المرونة في العلاقات الأسرية

إن الإنسان مخلوق اجتماعي يعيش في وسط اجتماعي يتأثر بمن حوله ويؤثر فيهم، وأثناء هذه التفاعلات الاجتماعية قد تحدث بعض الأمور التي تعكر صفو الحياة. وسوف نتناول في هذا الفصل علاقة الزوجين بكل من الأبوين والجيران، وذلك لما لهاتين العلاقتين من خصوصية.

أولاً: علاقة الزوجين بالوالدين ـ وأعني هنا والدَي الزوج ـ:

إن هذه العلاقة من منظور الإسلام لا بد وأن تكون علاقة حميمة لأنهم يرتبطون فيما بينهم بوشائج الألفة والمحبة والمودة، ولكن هذه العلاقة كثيراً ما يعتريها الفتور وخاصة بعد زواج الابن، فتحدث في بعض الأحيان مشاحنات بين الزوجة وأم زوجها لأسباب تكون في كثير من الأحيان تافهة، ولهذه الزوجة أهمس في أذنها وأقول: عليكِ بمعاملة أم زوجك كما تعاملين أمك.

واعلمي أيتها الزوجة أنك في يوم من الأيام سيكون لك أبناء وكما تعاملين أم زوجك سوف يعاملك أبناؤك، وكم قال ﷺ: «البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تُدان».

واعلمي أيتها الزوجة الوفية لزوجها إن إحسانك لأم زوجك وأبيه سوف يجعل مكانتك في قلب زوجك عالية، وسوف تزداد محبته لك وخاصة إذا كان باراً بأبويه.

كما ينبغي للزوجة الذكية ألا تحاول أن تقحم زوجها في كل خلاف يحدث بينها وبين والديه، فإن مقابلة السيئة بالحسنة تؤلف القلوب وتزرع المحبة والمودة في النفوس، ولكن الطامة الكبرى والبلية العظمى أن يكون الزوج هو سبب المشاكل مع أبويه ويعمل على تفضيل زوجته على أمه، فتغضب عليه فيدخله الله النار.

عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه». قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كلاهما، ثم لم يدخل الجنة» [رواه مسلم].

ولهذا الزوج وأمثاله ممن قست قلوبهم وعميت بصائرهم أسوق لهم هذه القصة التي حدثت في عصر النبوة كي تكون رادعاً لمن تسول له نفسه بتفضيل زوجته على أمه في المعاملة والإنفاق.

ففي السنّة أن علقمة كان يعاني سكرات الموت وأصحابه يلقّنونه الشهادة فلا ينطق بها لسانه، فأخبروا الرسول ﷺ بخبره فسأل أمه عنه فذكرت صومه وصلاته وعبادته، فقال: «ما عن هذا سألتك، ولكن كيف برّه بك؟» فقالت: يا رسول الله إني عليه ساخطة واجدة. فقال ﷺ: «إيتوني بحطب أحرقه». وكان ﷺ يريد أن يحرك فيها عاطفة الإحسان والغفران، فقالت: ابني وحشاشة قلبي تحرقه يا رسول الله؟ فبيّن لها أن النار مثواه إلا أن ترضى عنه، فأشهدت من فورها أنها عفت عنه، فعاد الصحابة إلى علقمة فسمعوه يفيض بالشهادتين[١]!!.

من أجل ذلك وصّى الرسول ﷺ بالأم ثلاثاً، وبالأب مرة واحدة.

جاء في «صحيح البخاري» أن صحابياً سأل رسول الله ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أبوك».

والمتأمل في كتاب الله عزّ وجل يجد أن الله ﷻ قرن في كثير من الآيات الكريمة عبادته بالإحسان إلى الوالدين ليؤكد لنا أهمية طاعة الوالدين. قال تباركت

(١) «ذيل تفسير الكشاف».

أسمـاؤه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال جلّت قدرته: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]. بل لقد جعل الله شكر الشاكرين لأنعمه لا يتم عل خير وجوهه حتى يمازجه شكر الوالدين. فقال عزّ من قائل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

وعن عبد الله بن عمر ﵄ أن النبي ﷺ قال: «أبر البر أن يصل الرجل ودّ أبيه» [رواه مسلم].

وينبغي عليك أيها الزوج المسلم وأنت تريد بناء بيت سعيد أن تبذل مالك لأبويك بسخاء وعن طيب نفس، فإن فعلت ذلك فسيعود عليك بالنفع العاجل والآجل، وإياك أن تكون كذلك الشاب الذي بخل بماله على أبيه.

عن عطاء عن عائشة ﵂ أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ يخاصم أباه في دين عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» [رواه ابن حبان].

قال أبو حاتم: معناه أنه ﷺ زجر عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنبيين، وأمر ببرّه والرفق به في القول والفعل معاً، إلى أن يصل إليه ماله، فقال له: «أنت ومالك لأبيك». وقال أمية بن أبي الصلت أبياتاً من

الشعر يعتب فيها على ابنه العاق فأنشأ يقول[1]:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً
تعل بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت
لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها
لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي
إليها مدى ما فيك كنت أؤمل
جعلت جزائي غلظةً وفظاظةً
كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل
تراه معداً للخلاف كأنه
برد على أهل الصواب موكل

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي اجتاح مالي. فقال ﷺ:

(١) «الأغاني» ٤/ ١٣٣.

«أنت ومالك لأبيك». وقال رسول الله ﷺ: «إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من أموالهم» [رواه ابن ماجه].

واعلم أيها الابن أن صنيعك بأبيك غرس يؤتي أكله غداً عسلاً رضاباً أو علقماً وصاباً حينما يجزيك ابنك بما عملت بأبيك.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبنائكم وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم» [رواه الحاكم]. وفي واقع الحياة شاهد ذلك ودليله فانظر في نفسك وفيما حولك!

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله عزّ وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنّان بما أعطى» [رواه النسائي].

واعلم أنك مهما فعلت مع والدك لن تستطيع أن توفيه حقه عليك، إلا أن تجده مملوكاً فتعتقه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه» [رواه مسلم].

وهذه أبيات في الإحسان إلى الأم. قال الحكيم:

لأمك حق لو علمت كثير
كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي
لـهـا مـن جـواهـا أنـة وزفـيـر
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة
فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها
ومـا حـجـرهـا إلا لـديـك سـريـر
وتفديك بما تشتكيه بنفسها
ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها
حنـانـاً وإشـفـاقـاً وأنـت صـغـيـر
فآهاً لذي عقل ويتبع الهوى
وآهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها
فـأنـت لـمـا تـدعـو إلـيـه فـقـيـر

ثانياً: العلاقة مع الجيران:

وقبل الحديث عن علاقة الزوجين بالجيران نذكر ما ورد في القرآن والسنّة في شأن الوصية بالجار. يقول سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ

أَيْمَـٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [رواه الطبراني].

وقسّم رسول الله ﷺ الحقوق للجيران فجعل لجار ثلاثة حقوق وهو جارك ذو القرابة المسلم، فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام، وجعل لجار حقين وهو جارك المسلم، فله حق الجوار وحق الإسلام، وجعل لجار واحد وهو جارك غير المسلم، له حق الجوار. وقال ﷺ في حديثه الجامع: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه (غشمه وظلمه) أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنّأته، وإذا أصابته مصيبة عزّيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيات فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإذا اشتريت فاكهة فاهدِ له فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده» [رواه الطبراني].

كانت تلك وصية الرسول ﷺ بالجار. فيجب على الإنسان المسلم الذي يتطلّع لبناء بيت سعيد أن يحسن

إلى جاره ويغضّ الطرف عن زوجته وبناته. فهذا عنترة العبسي الذي لم يتأدّب بأدب الإسلام يقول:

وأغض الطرف إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

ويقول مسكين الدارمي:

ناري ونار الجار واحدة
وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جار أجاوره
أن لا يكون لبابه ستر
أغضي إذا ما جارتي برزت
حتى يواري جارتي الخدر

فعليك أيها الزوج المسلم أن تكف أذاك عن جارك وإن كان ذمياً. فقد روي عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله أنه كان له جار ذمي، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد، فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر

يسقط منه في الجفنة، فقال: ما هذا الذي أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى. فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ثم مات سهل رحمه الله[1].

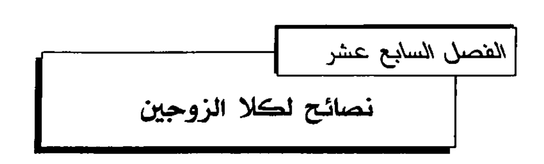
ونصيحتي لك: ألّا ترفع صوت المذياع أو التلفاز حتى لا تزعجه، وعليك أن تتفقده ما بين الفينة والفينة، فإن أصابه خير هنّأته وإن أصابته مصيبة عزيّته، ولا تنشر له عيباً، ولا تفش له سراً ولا تسيء به ظناً، وأن تكون معه ودوداً كريماً لا تبخل عليه بمالك ولا تحرمه من معروفك ونوالك، فإن فعلت ذلك نرجو لك أن تكون ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

وأختم هذا الفصل بقول الحكيم:

ونكرم جارنا ما دام فينا
ونتبعه الكرامة حيث مالا

---

(١) «الكبائر»، للذهبي، ص٢٠٧.



الفصل السابع عشر

نصائح لكلا الزوجين

النصيحة الأولى:

احذري أيتها الزوجة المسلمة من وصف النسوة اللاتي تعرفينهن لزوجك، لأن ذلك قد يؤدي إلى تعلُّق زوجك بإحداهن فيعمل على محاولة الاتصال بها، سواء كان ذلك بطريقة مشروعة أم لا، ونظراً لخطورة ذلك على الحياة الزوجية فقد قال ﷺ فيما أخرجه البخاري: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها».

النصيحة الثانية:

الحذر الحذر أيها الزوج من التساهل في دخول الأقارب والأصدقاء على أهلك ومجالستهن ثقة فيهم، فهذا يؤدي إلى أكثر الفتن التي تؤدي إلى زعزعة أركان الأسرة وتصديع بنيانها.

لهذا وغيره قال ﷺ كما ورد في الصحيحين: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل: يا رسول الله!

أرأيت الحمو؟ قال: «الحمو: الموت». والحمو هو أخو الزوج أو قريبه. ولقد شبّهه الرسول ﷺ بالموت لأن دخوله كالموت يسبّب الهلاك، وهذا ما نقرأه من الحوادث الأليمة التي تدمي القلوب، فهذا يرتكب الفاحشة مع زوجة أخيه، وذاك مع زوجة خاله، وآخر مع زوجة عمه، فانتشر الفساد وعمّ البلاء وذلك سببه كله راجع إلى تساهل الأزواج في دخول غير المحارم على أزواجهم.

النصيحة الثالثة:

إياك أيها الزوج المسلم وإياك أيتها الزوجة المسلمة من إفشاء سر الزوجية، لأن ذلك يكون سبباً في غضب الله والاحتقار من قِبَل الناس.

روى مسلم وأبو داود وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه».

النصيحة الرابعة:

احذري أيتها الزوجة المسلمة من عدم استجابتك لرغبة زوجك الجنسية، لأن ذلك يعرض البناء الأسري لمعاول الهدم والتصدع والغضب من الله واللعنة من الملائكة لمن تفعل ذلك.

قال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» [رواه الشيخان].

وقال أيضاً: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح» [رواه البخاري].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته، فلتأته وإن كانت على التنور»(١) [أخرجه النسائي والترمذي].

النصيحة الخامسة:

إياك أيها الزوج المسلم من الإفراط أو التفريط في الغيرة فكلاهما مذموم، لا بد أن تقوم العلاقة بين الزوجين على أساس من الثقة المتبادلة بين الطرفين حتى تسير حياتهما معاً في هدوء وانسجام، فلا يترك أحدهما لظنونه العنان، ولا يتجسس على الآخر، ولا يبالغ في الغيرة، لأن كل هذا مما يؤدي إلى انفصام عرى المحبة ويعكر صفوّ الحياة، والغيرة المعتدلة هي التي تزيد من المحبة والود وتشعر الآخر بأنه موضع اهتمام وعناية.

قال ﷺ: «إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما

---

(١) التنوّر: الذي يخبز فيه.

يبغضه الله، ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله: فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة، والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة، والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل» [رواه أبو داود والنسائي وابن حبّان].

النصيحة السادسة:

عليك أيتها الزوجة المسلمة احترام مشاعر زوجك ومشاركته في وجدانه وأحاسيسه، تخيري من الأقوال والأفعال ما لا يجرح شعوره أو يسبب له إحراجاً، وعليك أن تشعريه بأنك تحبينه وتعتزّين به، وإذا تجاوزت في ذلك بعض الصدق فلا ضرر من أجل الحفاظ على الانسجام وتقوية أواصر الزوجية.

روى البخاري ومسلم عن أم كلثوم ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً». قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: يعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها. فهذا حديث صريح في إباحة تجاوز بعض الصدق بين الزوجين من أجل المصلحة.

النصيحة السابعة:

عليك أيها الزوج المسلم أن تتزيّن لزوجتك كما تحب أن تتزيّن لك، واعلم أن نظافتك لا تقتصر على الشكل الخارجي فحسب، بل تشمل كذلك الأعضاء الداخلية.

روى مسلم في«صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: «عشرة من الفطرة: قصّ الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء». بل إن نظافة الزوج وعنايته بمظهره له أكبر الأثر في نفس الزوجة وإهمالها يكون سبباً في نفورها منه. والدليل على ذلك الرواية الآتية:

روي أنه قد دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان خليفة المسلمين زوج أغبر ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا لا هذا (تريد الطلاق) يا أمير المؤمنين فعرف كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الزوج ليستحم ويأخذ من شعر رأسه ويقلّم أظافره، فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته فاستغربته ونفرت منه ثم عرفته فقبلت به ورجعت عن دعواها. فقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: وهكذا فاصنعوا لهن فوالله إنهن ليحببن أن تتزيّنوا لهن كما تحبون أن يتزيّن لكم.

النصيحة الثامنة:

عليك أيها الزوج المسلم أن تحسن الحديث مع زوجتك فتكلمها بأسلوب رقيق مهذّب، فالكلمة الطيبة لها أثر طيب في النفس والوجدان، استمع لنصيحتها وقدّر رأيها وضعه موضع التنفيذ إن كان سليماً. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد أخذ برأي أم سلمة يوم الحديبية فكان في هذا صلاح المسلمين وسلامتهم.

النصيحة التاسعة:

عليك أيها الزوج المسلم بعدم كراهيتك لزوجتك لتصرُّف صدر منها، ولكن عليك بالحلم.

قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها بآخر» [رواه مسلم].

روي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على بابه ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعاً وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالي؟ وخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك أيها الرجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها عليّ، فسمعت زوجتك كذلك

فرجعت وقلت: إذا كان ذلك هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخي.. إني أحتملها لحقوق لها عليّ، إنها الطبّاخة لطعامي، خبّازة لخبزي، غسّالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا أحتملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي. قال عمر: فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة.

النصيحة العاشرة:

عليك أيتها الزوجة المسلمة أن تكوني وفية لزوجك، ومن وفاء الزوجية ألّا تفارق زوجها إن أصابته ضرّاء في ماله أو بدنه، وأن تظل تقاسمه الحياة في مرها كما قاسمته إياها في حلوها، وقد قيل: خير النساء الباقية على بعلها فهي تؤثر راحة زوجها على راحة نفسها[١].

ويحكي لنا التاريخ أن أعرابياً من بني عذرة شكا إلى معاوية بن أبي سفيان عامله مروان بالمدينة لرغبته في التفريق بينه وبين زوجته ـ على رغمها ـ لفقر نزل به بعد عزّ، ولرغبته في أن يتزوج منها لمكانتها من الجمال، فلما حضرت أمام معاوية ﷺ قال لزوجها مازحاً:

---

(١) «حقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي»، مصطفى إسماعيل بغدادي، ص٢٦٠.

فخيِّرها بيننا. فقال الزوج في ثقة من زوجته ذلك: إليك يا أمير المؤمنين، فتحول معاوية نحوها وقال لها: يا سُعْدى أيُّنا أحبُّ إليك أمير المؤمنين في عزّه وشرفه أم مروان بن الحكم في غضبه أم هذا الأعرابي في جوعه وإطماره؟ فأشارت الجارية إلى ابن عمها الأعرابي (زوجها) وأنشدت تقول:

هـذا وإن كـان فـي جـوع وإطـمـار
أعزّ عندي من أهلي ومن مالي
وصاحب التاج أو مروان عامله
وكـل ذي درهـم منـهـم وديـنـار

ثم قالت: لست والله يا أمير المؤمنين لقد كانت لي معه عيشة راضية، وأنا أحق بالصبر معه على الضراء والسراء، وعلى الشدّة والرخاء، وعلى العافية والبلاء، فأعجب معاوية بعقلها وكمالها ومروءتها.

الوصية الحادية عشر:

ونذكر فيها الزوج المسلم بالعفو عن زوجته إن صدر منها ما يسيء إليه والعفو من شيم الكرام.

روى الإمام الغزالي أن ميمون بن مهران جاءته جارية له بطعام ساخن فوقع إناء الطعام من يدها فأصاب سيدها شيء منه. فقال لها غاضباً: أحرقتيني. فأجابته:

يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال الله تعالى. فقال: وما قال الله تعالى؟ قالت: لقد قال: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ فقال: كظمت غيظي. قالت: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ قال: عفوت عنك. قالت: زِدْ فإن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران] قال: أنت حرة لوجه الله.

فإذا كان هذا الرجل التقي قد عفا عن جاريته فمن باب أولى أن يعفو الزوج عن زوجته المؤمنة أم أولاده.

الوصية الثانية عشر:

عليك أيها الزوج عدم تهديد زوجتك بالطلاق لشيء حدث بينك وبينها، ولا تجعل كلمة الطلاق تجري على لسانك كما نرى بعض السفهاء يفعلون ذلك فيقع منك الطلاق وأنت لا تدري وتعيش مع زوجتك في الحرام. واعلم أن الصلة التي بينك وبين زوجتك من أقدس الصلات وأوثقها وسماه الله بالميثاق الغليظ. قال سبحانه: ﴿وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء].

وإذا كانت العلاقة بين الزوجين هكذا موثقة مؤكدة، فإنه لا ينبغي الإخلال بها ولا التهوين من شأنها، فهو بغيض إلى الإسلام لفوات المنافع وذهاب مصالح كل من الزوجين.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق» [رواه أبو داود والحاكم وصححه].

ونصيحتي إليك أيتها الزوجة ألا تسألي زوجك الطلاق من غير سبب، لأن ذلك يحرمك من دخول الجنة.

فعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيُّما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة» [رواه أصحاب السنن وحسّنه الترمذي]. وليعلم كلا الزوجين أن الطلاق يهدم كيان الأسرة ويكون سبباً في تشريد الأبناء، وكثير من حوادث الأحداث تقع بين الأبناء الذين طلقت أمهاتهم لأنهم بلا أب يرعاهم ولا أم تقوم على شؤونهم كما كانت تفعل معهم عندما كانت مع أبيهم.

الوصية الثالثة عشر:

وإليك أيتها الأخت المؤمنة هذه الوصية الشاملة الجامعة التي أوصت بها أمامة بنت الحارث ابنتها أم إياس عند الزواج، فإن عملتِ بها فسيصبح بيتك سعيداً يرفرف عليه الحب والود والوئام.

أي بنية! إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً.

أي بنية! احملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع، والطاعة والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموقع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفال بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ولا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سرّه لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، ثم اتقي من ذلك الفرح بين يديه إن كان ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة يكون أطول ما تكونين له مرافقة. واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحتاجين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخيّر لك.

فأين نساؤنا من هذه الوصية؟!!!

وهذه وصية أب لابنته:

فقد أوصى أبو الأسود الدؤلي ابنته فقال لها: إياك

والغيرة فإنها مفتاح الطلاق. وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل. وعليك بأطيب الطيب: إسباغ الوضوء، وكوني كما قلت لأمك في بعض الأحايين:

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضب
فإني أريت الحب في القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

الوصية الرابعة عشر:

عليك أيها الزوج المؤمن وأيتها الزوجة المؤمنة بتقوى الله عز وجل، والمحافظة على الصلوات الخمس، وبرّ الوالدين، وتربية أبنائكما تربية إسلامية، والتمسُّك بتعاليم دينكم، وعليكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل حسب استطاعته، بذلك تحققون السعادة في الدارين فتنالون رضا ربكم وتفوزون بجنة عرضها السموات والأرض، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ تفسير الطبري.
٣ ـ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي.
٤ ـ تفسير الكشاف للزمخشري.
٥ ـ تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا.
٦ ـ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير.
٧ ـ تفسير القاسمي.
٨ ـ في ظلال القرآن: لسيد قطب.
٩ ـ التفسير المنير: لوهبة الزحيلي.
١٠ ـ أحكام القرآن: للجصاص.
١١ ـ أحكام القرآن: لابن العربي.
١٢ ـ فتح الباري في صحيح البخاري.
١٣ ـ صحيح الإمام مسلم.
١٤ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول: لابن الأثير الجزري.
١٥ ـ السنن الكبرى: للبيهقي.
١٦ ـ إحياء علوم الدين: للغزالي.
١٧ ـ بداية المجتهد: لابن رشد.
١٨ ـ التذكار في أفضل الأذكار: للقرطبي.

١٩ ـ **أدب الدين والدنيا**: للماوردي.
٢٠ ـ **العقد الفريد**: لابن عبد ربه.
٢١ ـ **فقه السنّة**: للسيد سابق.
٢٢ ـ **الفلسفة القرآنية**: عباس محمود العقاد.
٢٣ ـ **فتاوى معاصرة**: ماذا عن المرأة؟ يوسف القرضاوي.
٢٤ ـ **قبسات من حياة الرسول**: للشيخ أحمد محمد عساف.
٢٥ ـ **نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام**: عبد الرحمن الصابوني.
٢٦ ـ **سمو التشريع الإسلامي في معالجة النشوز والشقاق بين الزوجين**: كوثر كامل.
٢٧ ـ **المشاكل الزوجية وعلاجها في ضوء الكتاب والسنّة والمعارف الحديثة**: محمد عثمان الخشت.
٢٨ ـ **العلاقات الأسرية في الإسلام**: محمد عبد السلام أبو النيل.
٢٩ ـ **المقتنى العاطر من صيد الخاطر**: تهذيب أبي عبد الله الحداد.
٣٠ ـ **بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام**: مقداد يالجن.
٣١ ـ **تربية الأولاد في الإسلام**: عبد الله علوان.
٣٢ ـ **نحو تربية إسلامية**: حسن الشرقاوي.
٣٣ ـ **حقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي**: مصطفى إسماعيل بغدادي.
٣٤ ـ **الحفاظ على صحة الإنسان**: عز الدين فراج.
٣٥ ـ **الصحة للجميع**: إبراهيم مزنر.
٣٦ ـ **المغني**: لابن قدامة.

المحتوى